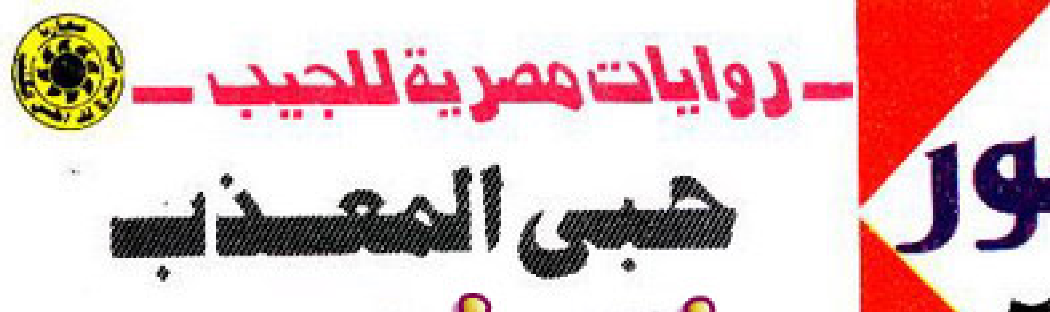


زهور
٢٧

حبي المعذب

شريف شوقي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ـ احببته دائما ..

ارتسمت ابتسامة فرحة على وجه (إيمان) ، وهى تتطلّع إلى ذلك الرجل الوقور ، الجالس أمام مكتبه ، يقلّب مجموعة من الأوراق بين يديه ، ثم لم تلبث أن اندفعت نحوه ، وطوّقته بساعديها ، هاتفة فى مرح :

ــ حمداً لله على سلامتك يا عمّى ، ما أسعدنى وأنا أراك قد استرددت صحتك ! وصرت على خير مايرام .

تخلى الرجل عن أوراقه ، وربّت على ساعدها ، وابتسم فى حنان ، وهو يقول :

ــ الفضل يعود لك ، ولعنايتك الفائقة بى ، خلال مرضى .. لقد أرهقتك كثيراً يا بنيّتى ، وجشّمتك ما لا تطيقين .

وشرد لحظة ، قبل أن يستطرد :

ــ كلّما تذكّرت قسوتى معك ، ومع أبيك فى الماضى ، وكيف تخلّيت عنكما ، وأنت بعد طفلة صغيرة ، وأخى يواجه الفقر والحاجة ، وأنا أرفل فى الثراء والأنانية .

ابتسمت ، وغمغمت محاولة التسرية عنه :

- تلك سنوات بعيدة ، ولَّت ومضت ، ولقد عوضتنى عنها كثيراً ، حتى أننى لم أشعر لحظة واحدة باليتم ، بعد وفاة أبى .. لقد كنت لى نعم الأب ياعماه .

أمسك يدها ، وهو يقول :

- أتعتقدين أننى قد كفَّرت عن ذنبى حقًّا يا (إيمان) ؟ .. أيمكن أن يكون أخى قد غفر لى فى قبره ما ارتكبته فى حقه ، فى حياته ؟

جلست على ركبتها ، وقبَّلت يده ، قائلة :

- لقد أخبرتك من قبل ، أن أبى لم يكن يحمل لك أية ضغائن ، لقد ظلّ ، حتى آخر لحظة فى عمره ، يكنّ لك مشاعر الحبّ والأخوَّة ، ويقول لى دوماً إنك لست بالسوء ، الذى قد أتصوَّره ، وأن بداخلك بقعة بيضاء ، تحتاج إلى من يبرزها ، ولقد أثبتت لى الأيام صحة ذلك ، فمنذ جئت إليك ، وعمرى لايزيد على أحد عشر عاماً ، بعد وفاة أبى ، وأنا أجد منك كل الحب والحنان والرعاية .

هبَّ من مقعده ، قائلا على نحو يوحى بعدم الرضا :

- ليس هذا كل ما أريده لك ، هناك أشياء كثيرة ، أبغى منحك إياها قبل موتى .

هبَّت واقفة بدورها ، وهى تقول :

- لماذا تذكر الموت يا عمَّاه ؟.. لست أحب أن أسمعك تذكر ذلك ، ولست أحب أن أتصوَّر فقدك .. فقدْ أبى الثانى .

استدار يواجهها ، قائلا :

- الموت حقيقة ، لا يمكننا تجاهلها ، والمهم هو أن نُعدّ أنفسنا لما سيترتَّب على مفارقتنا للدنيا ، ولقد عقدت العزم على أن أمنحك سعادة دائمة من بعدى يا بنيتى .

قالت مستعطفة :

- إذا أردت أن تسعدنى حقًّا ، فاصفح عن ابنك الوحيد (طارق) وأعده إلى المنزل ، ويكفيه بُعد خمس سنوات كاملة .

ابتسم عمها فى حنان ، قائلا :

— كأنى بك تقرئينَ أفكارى يا (إيمان) .. لقد صفحت عن (طارق) ، على الرغم من أننى لست راضياً عن أسلوب الحياة ، الذى اختاره لنفسه ، ولا تتصورى أنه كان من السهل علىَّ أن أحتمل فراقه كل هذه السنين ، ولكنه كان ينبغى أن يدفع ثمن أساوب حياته .

أطلّت الفرحة من عينيها ، وهى تقول :

— أيعنى هذا أنه .. ؟

قاطعها مبتسماً :

— لقد أرسلت إليه، وسيكون هنا خلال ساعات.

تعلّقت بعمّها ، وهى تهتف فى سعادة :

— أحقًّا يا عماه ؟ .. أسيعود إلينا (طارق) حقًّا ، بعد كل هذه السنين ؟

أبعدها عمّها فى رفق ، وتفحّصها بعينيه ، وكأنما يحاول أن يقرأ فى وجهها السرّ الحقيقى لتلك السعادة الغامرة ، ثم لم يلبث أن سألها متخابثاً :

— من الغريب أن تسعدك عودة (طارق) إلى

هذا الحد ، على الرغم من معاملته السيئة لك ، وتعاليه البغيض على ابنة عمه الفقيرة .. أتعلمين ؟ .. كنت أشعر دوماً أنه لايبغضك إلى هذا الحد ، ولكنها الغطرسة التى ورثها عن والدته (رحمها الله) .. والتى تسبّبت فى إفساده .

بدا وكأن (إيمان) قد أسقطت من ذاكرتها كل تلك الذكريات السيئة ، وهى تقول :

— لقد أصبح الآن فى الثلاثين من عمره ياعمّاه ، ولست أظن أنه يحتفظ بنفس الطيش والرُّعونة .

عاد العم يتفحّصها بعينيه ، قائلاً :

— إنك مستعدة دوماً للصفح عنه ، ونسيان كل مساوئه .. إنك تحبينه .. أليس كذلك ؟

تضرّج وجهها بحمرة الخجل . وأطرقت أرضاً ، دون أن تُحِيرَ جواباً ، فرفع عمها وجهها إليه، وعاد يتأمّلها فى حنان ، قائلاً :

— أما زلت تحبينه ؟

لم تدر بم تجيب ، وارتبكت ، ولكن الجواب

أطلّ من عينيها .. نعم .. إنها تحبه ، وقد أحبته دوماً ، منذ كانا صغيرين ، ولقد ظلّ أمير أحلامها ، على الرغم من قسوته تجاهها .. إنها لاتذكر اهتمامه بها يوماً ، بل تذكر صفعاته ، وتحطيم عرائسها ، كلّما حاولت التقرّب إليه ، وإهماله وإغفاله لها فى شبابه ، ونزواته وعلاقاته المتعدّدة بالفتيات ، والتى كانت تحاول إخفاءها عن أبيه ،على الرغم من غيرتها الشديدة ، وحزنها وألمها ، كلما رأته فى صحبة إحدى الحسناوات اللاتى يتهافتن عليه دوماً ، واللاتى سلبن كل اهتمامه ، حتى أنهنّ لم يتركن له مجالا للشعور بحبها الكبير له ، فاكتفت بالاحتفاظ به حزيناً فى قلبها ، ومحاولة إخفائه عن الجميع ، عدا عمها ، الذى أدركه بفراسته ..

وكم آلمها ذلك الحديث ، الذى استمعت إليه بالمصادفة ، بين عمها و (طارق) ، حينما أراد الأب أن يلفت نظر ابنه إلى حبها له ، ويدعوه إلى اختيارها زوجة، فإذا (طارق) يهتف فى استنكار واستخفاف:

— (إيمان) ؟ ؟ .. تلك البلهاء ! ! .. ابنة السائق ! ! أتظننى أرضى الزواج بمثلها ؟ !

لم تنسَ ذلك اليوم أبداً ، ولن تنساه طيلة عمرها ، فقد أدمت العبارة فؤادها ، فأسرعت إلى حجرتها، وألقت نفسها على فراشها، وراحت تبكى حتى الصباح لما أصاب كرامتها و أحاسيسها من جراح ، ولكن العجيب أنها — وعلى الرغم من ذلك — ظلّت تحبه .. لقد تصوّرت أنها ستنتزعه من قلبها ، بعد تلك الليلة ، ولكن لم تكد الشمس تشرق ، حتى عاد حبه يشرق مرة أخرى فى قلبها ، واعترفت بأنها تحبه ..

تحبه بالرغم من قسوته ، وبالرغم من إهاناته .. بالرغم من كرامتها الجريحة ، وكبريائها المطعون ..

لاتملك سوى أن تحبه ..

وتلك هى نقطة ضعفها ..

هذه المرة أيضاً أدرك عمها — بفراسته — مايدور داخلها ، خلال صمتها الطويل ، الذى أعقب سؤاله

لها ، فدعاها إلى الجلوس بجواره ، وقال فى لهجة تشف عن تقديره لها :

– إننى أعتمد على حبك الكبير له يا (إيمان) فهو ليس سيئاً كما يبدو .. إنه مثلى ، يحمل فى داخله بقعة بيضاء ، تحتاج إلى من يكشف الغطاء عنها ، ويدفعه إلى طريق النجاح والتقدّم والخير ، ولست أجد من يصلح لهذا سواك ، فالإنسانة التى تظل على حبها لشخص واحد ، طوال كل هذه السنين ، على الرغم من الفراق والقسوة والإساءة ، هى بالضرورة ذات قلب كبير ، ومشاعر عظيمة ، وبفضلها سنجعل من (طارق) رجلا آخر بإذن الله .

تطلّعت إليه فى حيرة ، مغمغمة :

– لست أفهم يا عمّاه ؟ .. ما الذى تريدنى أن أفعله ؟

تطلّع إليها لحظات فى صمت ، ثم قال :

– سأشرح لك كل شىء .. فقط عدينى أن تتخلّى مؤقتاً عن كبريائك وعنادك ، وتنفذى ما أطلبه منك .

تطلّعت إليه بعينين متسائلتين ، وراح هو يشرح ، ويشرح .. ويشرح ..

* * *

غمغمت (إيمان) وهى تتطلّع إلى وجهها فى المرآة :

– أسيبدى بعض الاهتمام بى هذه المرة ياتُرى ؟!

إنها لاتذكر اهتمامها البالغ بأناقتها وزينتها ، منذ وقت طويل ، مثلما تفعل الليلة ، وهى تعلم أنها ليست على قدر وافر من الجمال ، قادر على خلب الألباب ، وإدارة الرءوس ، ولكنها مقبولة وجذّابة على الأقل ، وإن كانت تتمنى لوكانت ملكة جمال ، فى هذه الليلة بالذات ..

ليلة عودته ..

كانت تتمنى لو رأت فى عينيه نظرة اشتياق أو لهفة واحدة .. أو لمسة حنان ..

وفجأة سمعت جرس الباب .. لقد حضر .. إنه الآن أمام الباب .

خفق قلبها فى شدّة ، وهى تقفز درجات السلم ، فى طريقها للدور السفلىّ ، والخادم فى طريقه ليفتح البـاب ..

وفجأة أيضاً صاح عمّها فى الخادم ، يأمره بترك الباب ، والعودة إلى الداخل ، ثم التفت إليها ، قائلا :

ـ افتحى أنت ، وهاتيه إلى حجرتى .. وتذكّرى أننى أريدك قوية كما اتفقنا .

لم يكن ذلك بالسهولة التى يتصوّرها ، ولا التى تصوّرتها هى .. لقد شعرت بثقل قدميها ، وهى تهبط الدرج ، وتلاحقت أنفاسها المضطربة ، وكأنهـا تريد أن تنتزع منها قلبها ؛ ليسبقها إليه ..

وفتحت الباب ..

ورأته ..

* * *

٢ ـ مواجهة قاسية ..

اكتسحها زلزال من المشاعر المتشابكة ، وهى تتطلّع فى لهفة إلى قامته المديدة ، وعينيه العسليتين ، ذواتا البريق ، وبدا لها متعباً ، ترسم قسماته معاناة سنواته الأخيرة ، وإن بقيت له صفتان ، لم تتبدلا ..

سحر عينيه النفّـاذتين ، وتعاليه البغيض ، الذى كرهته دوماً ..

ودون أن يلقى كلمة واحدة ، تشير إلى افتقاده لها ، طوال تلك السنين ، سألها فى برود :

ـ أين أبى ؟

غمغمت فى تلعثم :

ـ إنه ينتظرك فى الداخل فى ..

قاطعها وهو يزيحها جانباً ، ويدلف إلى الداخل ، ثم توقّـف فى منتصف الرّدهة ، وأدار بصره فيما حوله ، وكأنما يسترجع ذكرياته القديمة مع المكان ، على حين أغلقت هى الباب ، ووقفت خلفه ، قائلة :

ـ حمداً لله على عـودتك يا (طارق) .. لقـد افتقدناك كثيراً .

بدا وكأنه لم يسمعها ، وهو يلتفت إليها ، قائلا فى خشونة :

ـ أين هو ؟

أشارت نحو حجرة الأب ، مغمغمة :

ـ هنا .. لقد طلب منى أن أصحبك إليه

تطلّع إليها فى تعالٍ ، قائلا :

ـ إننى أعرف طريقى .

ثم اتجه نحو الباب ، وطرقه عدة طرقات سريعة ، ثم دخل إلى حجرة أبيـه ، ولم يكد يفعل حتى تلاشى من ملامحه الاستعلاء والتجهُّم ، واكتست بخليط من الاضطراب والحنين والخجل ، لدى رؤيته أباه ، على حين أسدل الأب على وجهه قناعاً من الجمود ، يخفى مشاعره الجيَّاشة ، التى تحركت فى قوّة ، حينما رأى ابنه أمامه ، بعد غياب خمس سنوات ، وسمعه يغمغم :

ـ كيف حالك يا أبى ؟

نهض الأب من مقعده ، ووقف فى مواجهته ، وهو يقول فى خشونة مصطنعة :

ما الذى وصل إليه حالك أنت ؟ .. ضائع ؟ .. متشرِّد ؟ .. تتسكَّع فى شوارع (أوربا) ، وتنتقل من عمل وضيع إلى آخر ، وبعد أن تنفد نقودك ، وتبلغ حالة يرثى لها ، ترسل الرُّسُل لاستعطافى ، وإعلان ندمك .. ألم يكن هذا هو ما حذَّرتك منه منذ البداية ، حينما أبيْتَ أن تستمع إلى نصيحتى ، وتبقى هنا لإدارة المصنع .

ـ إننى لم أرفض .. أنت طالبتنى بترك إدارة المصنع ، وبمعنى أدقّ .. طردتنى .

ـ لأنك فشلت فى الحفاظ على الثقة التى أوليتها لك ، وبلغ بك الأمر حدّ اختلاس أموال المصنع ، وبعثرتها على نَزَواتك ، ومظهرك الكاذب .. إنك فاشل دوماً ، لم تنجح فى نيل شهادة جامعية ، ولا فى إدارة المصنع ، وحتّى فى الأعمال الوضيعة ، التى زاولتها فى (أوربا) .. لقـد قلت ـ قبيل سفرك ـ

أنك ستثبت لى قدرتك على النجاح من دونى ، فأين هو ذلك النجاح ؟

شعر (طارق) بالثورة تعربد فى أعماقه ، إزاء تقريع والده الغليظ له ، وكاد يعلن احتجاجه ، ويغادر المنزل مرة أخرى ، لولا أن تذكر حالته المُزْرية ، بعد نفاد نقوده ، وحاجته الماسّة لمساعدات أبيه ، بعد أن لم يعد بإمكانه التمرُّد ، وبعد أن أثبت فشله وعجزه ، فلم يجد أمامه سوى الامتثال والخضوع واستدرار العطف .. وكم آلمه أن يصل به الأمر إلى ذلك ، ليس لأنه يفعل ذلك أمام أبيه ، وإنما لأنه يفعله بدافع من هزيمته ، وعجزه عن إثبات قدرته على النجاح ، وإثبات أن اختلاسه لنقود المصنع كانت حدثاً لايمكن أن يتكرر ، وأنه وليد تدليل والدته له ، حينما كان والده مشغولا عنه بجمع الأموال ، والذى تغلغل فى أعماقه ، وأفسد شخصيته الضعيفة دوماً ، أمام المال والنزوات ..

وسمع أباه يهتف :

— تعالىْ يا (إيمان) .

ارتجفت (إيمان) ، لدى سماعها النداء ، وتردّدت لحظة ، ثم دفعت الباب ، ووقفت إلى جواره مطرقة ، مغمغمة :

— أتريد شيئاً يا عمى ؟

— نعم ... ادخلى ، وأغلق الباب خلفك .

ثم تحرك نحوها ، وأحاط كتفها بإحدى ذراعيه ، وهو يتطلّع إلى ابنه ، قائلا :

— انظر إلى ابنة عمك ، التى كنت تسخر منها .. إنها تساوى فى نظرى عشرين شخصاً مثلك ؛ فهى ناجحة فى كل عمل تؤديه .. حصلت على بكالوريوس التجارة بنجاح ، وتشاركنى الآن إدارة المصنع على نحو رائع ، أمكنها — من خلاله — أن تحقق أرباحاً خيالية ، لم أكن أتوقعها أبداً ، بالإضافة إلى أنها تدير هذا المنزل أيضاً ، وتنظم كل صغيرة وكبيرة فيه ، دون الاعتماد على مساعدة الخدم ، وفوق هذا وذاك تملك من الحنان والحب والإخلاص ما لم أجده فى

أى مخلوق آخر . فلقد قضت الليالى ساهرة ، ترعانى فى أثناء مرضى ، حينما كنت أنت تتسكع فى (أوربا) ، دون أن ترسل حتى خطاباً واحداً ، فيما عدا ذلك الذى تستجدى فيه عودتك .. هذه هى الفتاة ، التى كنت تتعالى عليها دوماً لفقر أبيها ، وتعاملها معاملة الخدم .. إنها كانت لى بمثابة التعويض عن خيبة الأمل التى منيت بها فيك .

لم يعد (طارق) يحتمل ، خاصة وهو يلقى كل ذلك التقريع ، على مرأى من (إيمان) ، فزفر قائلا :

— أبى .. ألا يكفيك ذلك ؟ .. أأرسلت تدعونى لتجريحى وإهانتى ؟ .. لقد تصورت أنه قد آن أوان الصفح ، وأنه يمكننا أن نسدل الستار على الماضى !

حاولت (إيمان) أن تخفف من وطأة الموقف ، فرسمت على وجهها ابتسامة شاحبة ، وهى تقول :

— نعم .. هذا ما دعا عمى إلى استدعائك .. سيفتح صفحة جديدة ، ويمزّق كل الأوراق القديمة .. أليس

كذلك يا عمى ؟ .. أؤكّد لك أنه سيكون الرجل الناجح الذى تتمناه .. فقط امنحه الفرصة .

تضاعف شعور (طارق) بالسخط ، إزاء تدخل (إيمان) ، وإلقائها الوعود على لسانه، فقال فى حِدّة :

— أبى .. ألا يمكننا أن نتحدّث بمفردنا ؟

تجاهله الأب تماماً، وهو يحوّل عينيه إلى (إيمان) ، قائلا :

— أتضمنين لى ذلك ؟

تلعثمت ، وهى تقول :

— من الواضح أنه يشعر بالنّدم ، على كل ما ارتكبه من أخطاء فى الماضى ، وأنا أثق فى أن لديه من القوة والإرادة ما يكفيه ، ليصبح الرجل الذى ترجوه .

أدهشت عبارتها (طارق) تماماً ، فقد بدت له قوية الإرادة ، على عكس ما كان يتصوّره فيها من ضعف فى الماضى ، وكانت تتحدث عنه بثقة وتفاؤل وحماس ، تفوق ما يشعر به هو نفسه ، ولم يدر

أأسعده ذلك أم زاد من سخطه ، حتى قطع عليه والده حبل أفكاره ، ويقول لـ (إيمان) :

ـ هذا الضمان لا يكفى .

ثم التفت إلى (طارق) ، مستطرداً :

ـ لقد فكّرت فى الأمر طويلا .. إننى أريدك رجلا يُعتمد عليه ، خاصة وقد تقدّم بى العمر ، وأصبحت أحتاج إلى من يدير ثروتى ، ويحافظ عليها .

صمت وهو يتجه نحو مكتبه ، ويجلس خلفه فى وقار ، فابتسم (طارق) ، وبدا له الحديث على هذا النحو مشجعاً ، واستمع فى اهتمام إلى والده ، وهو يردف :

ـ ولكننى ما زلت لا أثق بك ، فما زلت فى نظرى ذلك الشاب الطائش العابث ، الذى يمكنه أن يبدّد كل ثروتى ، التى جمعتها بالجهد والعرق ، إرضاء لنزواته ، وحياته اللاهية ، التى نشأ فيها ، وما أخشاه بعد موتى أيضاً ، إذا ما آلت إليك ثروتى بالميراث ، أن تسلب هذه الفتاة المسكينة حقوقاً أدين بها لها ، ولأبيها ، جزاء ما ارتكبته فى حقهما من جهة ،

وما منحتنى هى إياه من جهة أخرى ؛ لذا فقد قررت أن أعقد بيعاً صوريّاً ، أمنح كلاًّ منكما بمقتضاه نصف ثروتى ، لقاء مبلغ شهرى متفق عليه ، وفى المقابل أحتفظ بورقة تثبت ملكيتى لثروتى طيلة عمرى ، وعدم نفاذ عقد البيع إلا بعد وفاتى ، حتى لا تُساء إدارة أو استخدام الثروة .

تطلّع (طارق) إلى والده فى حيرة ، فتابع هذا الأخير :

ـ سيكون لك نصف مصنع الزجاج ، ولـ(إيمان) النصف الآخر ، على أن تتولى هى الإدارة ، والإشراف على كل الأمور ، وتعمل أنت تحت إمرتها ، مقابل راتب شهرىّ تحدّده هى ، ولن يخلّ هذا بحقك فى الأرباح طبعاً ، ولكن سيكون من سلطتها إبعادك عن العمل ، إذا ما قرّرت عدم كفايتك ، كما سيكون من حق إلغاء عقد البيع ، وتحويل قيمته الكاملة إلى ابنة عمك ، إذا ثبت لى أنك لم تكن تستحق تلك الفرصة الأخيرة ، التى منحتها لك .

اكفهرّ وجه (طارق) ، وبدت له الأمور متعسّفة فى حقه ، فأعلن عن تبرُّمه ، قائلا :

ـ ولكن هذا تحايل وظلم ، فأنا ابنك الوحيد ، وصاحب الحق فى ثروتك ومصنعك ، أما تلك الفتاة ، فهى لاتستحق عُشر ما تمنحها إياه من ثروة وامتيازات.

أجابه والده فى غضب :

ـ لو أردت الحقيقة ، فأنت الذى لايستحق شيئاً من كل ما أعرضه عليك ، فتلك الفتاة ، التى تتحدّث عنها بهذا الأسلوب الفج ، هى ابنة عمك ، ثم هناك الشرط الأخير .. أهم شروط العقد .

غمغم (طارق) فى دهشة :

ـ أى شرط ؟

تطلّع إليه والده فى صرامة ، وهو يقول فى حزم :

ـ ستتزوّج من ابنة عمك .. يوم الخميس القادم.. هذا هو أهم شروط العقد .

* * *

٣ ـ الخيار الصعب ..

مضت لحظة من الصمت والدهشة والاستنكار ، قبل أن يهتف (طارق) فى عصبية :

ـ لايمكنك أن تفرض علىَّ أمراً كهذا .

ـ ينبغى أن تحمد الله وتشكره على هذا الشرط ، فابنة عمك هى الثروة الحقيقية ، التى أهديها لك ، ويقينى أنك لا تستحقها .

ـ ولكن هذا منتهى التعسف والإجحاف ، فمن حقى اختيار الزوجة التى تناسبنى .

ـ فى هذه الحالة سيكون عليك أن تغادر منزلى ، دون أدنى حقوق لدىَّ .

انهار (طارق) فوق أحد المقاعد ، مغمغماً فى يأس :

ـ أنت تعلم أننى فى موقف لايسمح بالاختيار ، ولكننى لم أتصوَّر أنك ستفعل بى هذا ، مهما حدث بيننا فى الماضى ، فلقد ظننت أنك قد صفحت عنى ،

وتريد أن تفتح صفحة جديدة معى ، ولكن يبدو أنك قد استدعيتنى لإذلالى .

تخلّى الأب عن هدوئه ، وهو يقول فى حِدّة :

– إذلالك ؟! .. أهذا هو كل تقديرك لما يفعله أبوك من أجلك ؟! .. أدعوك لأسدّد عنك كل ديونك ، وأنتشلك من حياة الضياع والتشرّد ، وأغفر لك اختلاسك لأموالى ، وفوق هذا أمنحك نصف ثروتى ، وأنا حىّ أرزق ، وأقدم لك زوجة يتمنّاها أى رجل ، فتتهمنى بمحاولة إذلالك ؟ .. يالك من جحود !

أخذ عقل (طارق) يعمل فى سرعة ، محاولا التغلّب على انفعاله ، وأدرك أنه أمام فرصة نادرة ، لا تتكرّر ، وأن عليه ألاّ يفسدها بانفعاله ، بل أن يتخلّص من كل طيشه ونَزَقِه ، ويتشبّث بفرصة وضع يده على نصف المصنع ، على الرغم من ثقته بضرورة أن يصبح المكان كله له ، وعليه أن يروّض نفسه على قبول ابنة عمه ، التى كانت دائماً على هامش حياته ، والتى عرفت كيف تتسلل إلى قلب أبيه ،

بكل الدهاء والنفاق ، إلى الحد الذى أقنع أباه بتنازله لها عن نصف ثروته بتلك السهولة ..

إنها معركة عليه أن ينازل ابنة عمه فيها بنفس الأسلحة والدهاء ، وعليه أن يمنحها قدراً أكبر من الاهتمام ، ويرضى بها زوجة ، مادام هذا سيعاونه على الإمساك بكل خيوط اللعبة فى النهاية ، وإقناع أبيه بأن الفتاة لاتستحق ثقته ، ويثبت له أنه الرجل الذى يمكنه أن يعتمد عليه ، ويثق فيه .

وحتى لو لم ينجح ، فعلى المدى الطويل ، يمكنه أن يتخلّص منها ، ويحوز كل شىء ، ولكنه لن يسمح لها أبداً بفرض سيطرتها عليه إلى الأبد ..

طال صمته ، وهو يدير كل تلك الأفكار فى رأسه ، وقطع أبوه صمته ، وهو يقول فى حسم :

– ما قرارك ؟

رفع رأسه إليه ، قائلا :

– إننى أوافق على كل شروطك يا أبى .

– إنك توافق على عقد قرانك ، على ابنة عمك ، الخميس القادم إذن .

– كما تحب يا أبي .

ألقى (طارق) عبارته الأخيرة فى استسلام ، ثم استدار يتطلّع إلى ابنة عمه فى حيْرَة ..

كانت تقف صامتة ، دون أدنى انفعال ، دون أن تبدى رفضاً أو تمنّعاً ، تنقذ به كبرياءها كأنثى ، وهى تعرض كجزء من صفقة عليه !! ..

إنها لم تحاول حتى أن تفتعل احتجاجاً واهياً !! ..

وقال (طارق) لنفسه فى ازدراء :

– يبدو أن طموحها أقوى كثيراً من كبريائها !

لم يكن يعلم أن صمتها وامتثالها يرجعان إلى اتفاق سابق مع والده ، يهدف إلى إجباره على اتخاذ سبل الخلاص من ضياعه ، فلقد اختبر الأب ابنة أخيه ، وأدرك ما تحمله من صفات حميدة ، وقوة شخصية ، وحب لابنه ، وأدرك أيضاً أن (طارق) يحتاج إلى فتاة مثلها ، لتدفعه إلى الطريق القويم ، وأن هذا يسعده

أيّما سعادة ، ويطمئنه على مصير ثروته من بعده ، ومصير مصنعه ، الذى أنشأه بالجهد والعرق ..

وفى هدوء ظاهرى ، غادرت (إيمان) الحجرة ، واتخذت لنفسها مقعداً قصيّاً فى الشرفة ، غاصت داخله ، وشرد فكرها ، وهى تتطلّع إلى الحديقة ..

لقد قضت فى هذا المنزل ثلاثة عشر عاماً ، دون أن تتطلّع لحظة إلى ثراء عمها ، أو تفكّر – مجرّد تفكير – فى نيل جزء منه ، على الرغم من معرفتها أن هذا المال كان يعود كله إلى أبيها ، قبل أن يفرّط فيه لعمها بطبيعته المعهودة (رحمه الله) ..

ولكن أحداً لايصدّق ذلك ..

أقاربها .. الخدم .. العاملون بالقصر .. كلهم يرمونها بنظرات خبيثة ، وحتى (طارق) ، لاريب أنه يشاركهم شكوكهم ، ويتصوّر أنها تسعى للفوز بكل الثراء والقوّة ..

لا أحد منهم يتصوّر أن قمة آمالها كانت الزواج من (طارق) ، وحتى ذلك بدا لها حلماً عسير التحقيق ،

طالما راود خيالها ، ثم هاهو ذا يتحوَّل إلى حقيقة ، لم يعد يفصلها عنها سوى عدد يسير من الساعات ، وبعدها يُعقد قرانها على فارس أحلامها ، الذى منحته كل حبها ، على الرغم من معاملته الفظّة لها ، وقسوته ومساوئه .

ربَّما لم تكن هذه هى الوسيلة التى تصوَّرتها لتحقيق حلمها ، فكم رأته بعين الخيال يهرع إليها ، فاتحاً ذراعيه فى لهفة وشوق ، معلناً أنها الفتاة الوحيدة فى هذا الكون ، التى يتمنّاها زوجة ..

كانت تحلم بأن ترى فى عينيه العسليتين نظرة حب واحدة ، وأن تشعر فى لمسة أصابعه بدفقة حنان نادرة ..

إنها لا تستطيع أن تخدع نفسها ، وتقنعها بأنها قد ارتضته زوجاً ، لإرضاء عمها ، والامتثال إلى رغبته فحسب ، ولا لأن هذا واجب إنسانى ، يهدف إلى تقويم ابن عمها ، وإعادته إلى الصواب ..

لقد وافقت لأنها تحبه ..

وربَّما .. ربَّما حينما يلمس مشاعرها الحقيقية

عن قرب ، ويدرك صدق إحساسها نحوه ، وعمق عواطفها المتأصلة فى أعماقها منذ الطفولة .. ربما عندئذ يتحوَّل الحلم إلى حقيقة .

ربَّما كان ناقماً عليها الآن ، ولكنها ستتجاهل ذلك ، فلن تجد من ترعاه وتعنى به خيراً من نفسها ، على الرغم من كل ما عرفهنَّ طوال حياته العابثة ، والشىء الوحيد الذى يُبرِّر موافقتها على الزواج منه ، فى ظل هذه الظروف غير الكريمة ، هو أنها تدافع عن حبها ، وتخشى أن يفلت منها ، فلا تعرف فى حياتها سوى الحزن والندم ..

انتزعها من أفكارها وشرودها إقباله نحوها ، وجلوسه إلى جوارها ، وهو يتطلّع بلوره إلى الحديقة ، فرنت إليه بطرف عينها ، وهى تحاول استكشاف مايدور فى عقله ، دون أن تحاول أن تبدأ معه حديثاً ، مما جعل الصمت يخيِّم عليهما طويلا ، قبل أن يقطعه هو ، قائلا :

ـ لم أكن أنتظر منك ذلك الرضوخ الصامت ،

حينما كان أبي يملى عليّ شروطه، التي كان زواجنا أحدها .

غمغمت فى هدوء ورصانة :

— ما الذى كنت تنتظر منى أن أقوله ؟

قال ، وقد تسللت إلى صوته نبرة تهكمية :

— كنت أنتظر منك احتجاجاً ، أو اعتراضاً .. أو حتى شيئاً من التمنّع المصطنع ، فهذا ما ينبغى ، من فتاة تعتز بكرامتها وكبريائها ، حينما يُفرض زواجها فرضاً .

احتفظت بهدوئها ورصانتها ، وقرّرت أن تودّع الخوف والخجل ، وتقود المعركة إلى النهاية ، فقالت :

— ولماذا هذا السخف ، مادام كل منّا سيحظى بقدر من النفع والثراء ؟ — إنها صفقة تستحق التضحية بكل تلك العواطف .

تأمّلها فى دهشة،وخيّل إليه أنه يراها لأول مرة، فقد بدت له بأسلوبها ، ونظراتها القوية الواثقة ، فتاة أخرى ، غير التى عرفها من قبل ، فابتسم فى مرارة مغمغماً :

— لقد تغيّرت كثيراً يا (إيمان) !.. إننى لم أتوقّع منك هذه الصراحة المفرطة !! .

أجابته فى هدوء :

— ولِمَ لا ؟ ينبغى أن يعلم كل منا حقيقة دوره ومكسبه ، فأنتَ ستعود إلى منزلك ومصنع أبيك ، وترفع عن كاهلك مشاق العمل والديون ، وفوق هذا وذاك ستحصل على مُرتّب ممتاز ، وأرباح وافرة للمستقبل ، ومادام عمى يشترط أن يرتهن كل ذلك بزواجنا ، فلِمَ نعترض ؟ إنها ليست بالتضحية الكبيرة ولست أطالبك بأن يكون زواجنا حقيقيًّا ، فليكن بمثابة عقد شركة .

قال فى سخرية وازدراء :

— وأنت الفائزة الكبرى فيه .

كم تمنّت لحظتها أن تعترف له بالحقيقة كلها ، وأن تقسم له أنها كانت تتمنى ذلك طيلة عمرها ، ولكنها لم تكن أبداً من ذلك النوع من الفتيات ، اللاتى يجتذبن القلوب النافرة بالاستعطاف ، فهى لن تصرح له بحبها

أبداً ، إلا حينما يبادلها هو الحب ، ومادام لا يفعل فهى لن تفصح أبداً ..

وأخفت كل تلك المشاعر فى أعماقها ، وهى تقول :

– لست أنكر ذلك ، ثم إننى أستحقه ، فلقد بذلت جهداً لتنمية المصنع ، وعلىَّ أن أتطلَّع إلى مستقبلى على نحو عملىّ ، وأن أُحصِّن نفسى ضد الفقر ، بعد أن رأيت مافعله بأبى ، ومع ذلك فأنت الفائز الأكبر ، فأنت أحوج إلى المال منى .

– كيف ؟ .. إنك المتحكِّمة فى الإدارة ، وأنا سأعمل تحت إمراتك .

– هذا أفضل للجميع ، فلقد أثبتت التجربة أننى أكثر قدرة على إدارة المصنع ، ولسنا نثق – أنا وعمى – فى شخص مثلك لإدارته .

– أنت تتحدثين وكأنك صاحبة الحق فى كل هذا ، على حين أنك مجرد وصوليَّة منافقة .

– لاداعى لكل هذا الانفعال يا بن عمى العزيز ،

فلقد طرح عمى شروطه ، ونحن أعلنَّا قبولنا لها ، أليس كذلك ؟ .. وعلى أية حال ، يمكنك التراجع ، قبل وصول المحامى .

ردَّته كلماتها إلى صوابه ، وأعادت إليه خطته لتحقيق طموحه ، فهدأت ثائرته ، واعتدل فى مجلسه ، ورماها بنظرة متعالية ، محنقة ، قبل أن يقول فى هدوء حازم :

– كلاَّ .. سأبقى ..

وبدأت المعركة ..

* * *



لم يكد (طارق) ينصرف عنها ، حتى زايلهـا هدوءها المصطنع ، وراحت ترتجف فى انفعال ، وهى تقول لنفسها :

ـ إنه لا يحبنى ، ويعتبر الزواج منى خطوة ثقيلة وثمناً لإنقاذ نفسه من ضائقته المالية ، وتحقيق أطماعه ..

كانت تظن أنها ستكون أسعد أهل الأرض ، حينما تتزوَّج (طارق) ، إلا أنها ، وقد صار زواجه منها على قيد ساعات ، لا تشعر بأية سعادة ، بل بالحزن ، فعلى الرغم من رغبته فى نيل ثروة أبيه ، وحاجته الشديدة إليها ، لم يحاول حتى أن يلقى على مسامعها كلمة حب مصطنعة ، بل على العكس ، تمادى فى إهانتها ، وإظهار كراهيته لها ، متجاهلا شعورها ، بل إن أفضل كلمة نطق بها هى أنه لا يظن زواجه منها سيئاً إلى هذا الحد ..

ولكنها لن تيئس ، ولن تتراجع عن حبها ، الذى

مهما لاقى من الذل والمهانة ، ستعيد إليه كرامته فى النهاية ، ولن تسمح لـ (طارق) بإدراك حبها له أبداً ، حتى لو شعرت برغبته فى البكاء ، ستحبس دموعها عنه ، وتسكبها وحدها ، بعيداً ..

نعم .. إن قلبها الذى يشتاق له لن يعرف الضعف بعد الآن .. أبداً ..

* * *

كان حفل الزواج رائعاً حقًّا ، إلا أنه من العجيب أن الزوجين بدَوَا شاردين ، فلقد أدركت (إيمان) الآن فقط ، وهى تجلس إلى جوار (طارق) ، أن الأمر ليس بالسهولة التى تتصوَّرها ، فقد تدفع قلبها ثمناً لمجازفتها ، فلو فشلت فى نيل حبه ، فسيتحطَّم قلبها إلى الأبد .. أما هو ، فقد كان يكره قيد الزواج ، خاصة حينما يربطه بفتاة لم تخطر بباله قط ، ولم تكن فى نظره بأكثر من ضيف ثقيل فى منزل أبيه ، بل لقد شعر ، وهو يجلس إلى جوارها فى حفل الزفاف ، أنه عاجز عن إخفاء نفوره منها ، وعلى الرغم من كل ما يملأ

نفسه من خصال سيئة ، فلم يكن بالشخص القادر على التظاهر بالحب ، وهو يشعر فى أعماقه بالكراهية ، ولقد بدت له مهمة الزواج منها صعبة وثقيلة للغاية ..

وانتهت مراسم الزواج ، وضمتهما أخيراً حجرة زفافهما ، فى ليلة العمر ، التى يحلم بها كل عروسين ، ولكن ذلك الحلم كان بارداً جافاً ، فلقد ظل (طارق) يقف أمام النافذة ، يدخن السيجارة تلو الأخرى ، على حين اندست (إيمان) فى الفراش ، وتظاهرت بالنوم ، وقد ملأها شعور قوى بالمهانة ؛ بسبب ذلك الإهمال الذى واجهها زوجها به ، فى ليلة العمر ، وبدت لها الدقائق وكأنها تمرّ بطيئة ، ثقيلة ، موحشة ، ثم ارتجف جسدها ، حينما شعرت به يجلس على طرف الفراش ، وسمعته يسألها :

— هل نمت ؟

بذلت جهداً لتملأ صوتها بالبرود ، وهى تغمغم دون أن تلتفت إليه :

— ليس بعـــد .

— حسناً .. أريد التحدث إليك .

— ألا يمكننا أن نؤجل الحديث للغد ؟ .. إننى أشعر بالإرهاق ، ولقد تناولت قرصاً منوّماً .

غمغم فى تهكم مشوب بالمرارة :

— قرص منوم فى ليلة كهذه ؟ !

— وما الفارق ؟ .. إنها مجرّد ليلة .

— إنهم يسمونها ليلة العمر .. أليس كذلك ؟

— بالنسبة لزوجين متحابّين .

— كنت أظنك تحملين لى بعض الحب .

تمنّت لو أجابته بأنها تفضّله عن نفسها ، وأن حبه يملأ كل نفسها ، إلا أنها وجـدت لسانها يقـول فى سخرية :

— حب ؟! .. لا تكن سخيفاً .. أنت تعلم كيف تمّ زواجنا .

— ولكنك كنت تدافعين عنى فى حرارة ، ولقد تصوّرت ..

— لا تتصوَّر شيئاً .. إنك فى النهاية ابن عمى ، ولم أكن لأقبل بقاءك بعيداً عنه طويلا .

عادت إليه نبرته الحانقة ، وهو يقول :

— أو أنك تعلمين أن فى عودتى منفعة لك ، فلا شك عندى فى أنك كنت تعرفين شروط عـودتى إليه مسبَّقاً .

آلمها عودته لاستخدام هذه اللهجة، بعد أن كادت تتصوَّر أنه قد شعر بحبها ، وقالت فى ضيق :

— واضح من لهجتك أنك قد عدت إلى طبيعتك الانتهازية ، التى ترى أن استغلال الفرص هو قانون الحياة الأوَّل .. لقد تصوَّرت لحظة أنك مريض ، حينما أخذت تتحدث عن الحب ، وليلة العمر ، ولكننى أطمأننتُ عليك الآن .

أجابها فى غيظ مكتوم :

— إن شعورى الحقيقى هو الإحباط والمرارة ، فلم أتصوَّر يوماً أن أقضى ليلة زفافى مع فتاة أبغضها على هذا النحو .

أغمضت عينيها ، وقد اعتصرها الألم ، إزاء تلك العبارة الجارحة المهينة ، التى تسمعها من بين شـفتى الرجل الذى تحبه ، فى ليلة زفافها إليه ، ولكن كان عليها أن تتوقع مثل هذه الأمور ، وأن تعدّ نفسها لتلك الأساليب .. فقط ينبغى ألا تستسلم لكبريائها الجريحة ، وأن تحتفظ بقوتها ، وسيطرتها على مشاعرها وعواطفها أمامه ، مهما كان عمق الجراح ..

ويبدو أنه قد شعر بقسوة عبارته أكثر مما ينبغى ، إذ غمغم فى ندم :

— معذرة .. لقد جعلتنى أخرج عن وعيى و ..

قاطعته فى حزم :

— ما الأمر الذى كنت تريد أن تحدثنى به ؟

اعتدل فى جلسته ، قائلا :

— لقد قرَّر أبى أن نسافر غداً ؛ لقضاء شهر العسل فى ڤيلا (العجمى) .. ألديك مانع ؟

قالت ، وهى تعقد ذراعيها أمام صدرها :

— كان من الأجدر أن نراجع ملفات المصنع من

الغد ، ولكنه أسبوع واحد على أية حال ، يمكننا قضاءه على أى نحو.. أهذا كل ما لديك ؟

– كلاً .. لقد قلت بنفسك منذ لحظات أن أساس زواجنا هو المصلحة ، وهذا أفضل ، فلست أحب أن يحدّ أحداً من حريتى ، أو يحاسبنى على تصرّفاتى .

– اطمئن .. سيكون زواجنا شكليًّا فحسب ، ولكن هناك أمرين يجب مراعاتهما ، أولا : أن يحافظ كل منا على كرامة الآخر ، بحيث نبدو أمام الناس ، وخاصةً عمى ، كزوجين محبين ؛ حتى لا يتراجع عن شروطه ، وثانياً : ألا تمس تصرفاتك مصلحة المصنع . أتفهمنى ؟

أطرق برأسه ، وقد أدرك أنها تشير إلى الاختلاس السابق ، وغمغم فى ضيق :

– إننى أوافق .

– رائع .. يسرنى أننا قد اتفقنا على رأى واحد .

ظلّت صامتة برهة ،وهى تتمنى لو أن هذا الحديث ينتهى بكلمة واحدة منه ، تحمل إليها شيئاً من الحب

والحنان ، إلا أنه ظلّ متمسّكاً بصمته ، حتى غمغمت هى :

– أظن أن حديثنا قد انتهى .

غمغم فى حنق ، وهو ينهض من جوارها :

– نعم .

أطفأت ضوء المصباح المجاور لفراشها ، وعجزت عن إخفاء تنهيدتها العميقة، وهى تلقى رأسها على الجانب البعيد من الوسادة ، قائلة :

– حسناً .. ليلة طيبة .

ولكن الليلة لم تكن كذلك ..

لم تكن كذلك أبداً ..

* * *



٥ – رجفات قلب ..

دفع (طارق) باب ڤيلا (العجمى) ، وهو يدعو (إيمان) للدخول ، قائلا فى سخرية :

– تفضَّلى .. لِمَ تقفين هكذا ؟.. أهذه أول مرة تأتين فيها إلى هنا ؟

دخلت فى هدوء ، وتأملت المكان حولها ، وهى تقول :

– أتعلم أننى لم آت إلى هنا ، منذ كنا أطفالا ؟

وضع الحقائب وسط الردهة ، وهو يقول بنفس اللهجة الساخرة :

– نعم .. وها هى ذى الطفلة البريئة تعود سيِّدة ذكية ، لا تفتقر إلى الدهاء والطموح .

التفتت إليه ، قائلة فى تحدٍّ :

– لقد تغيرت الطفلة البريئة كثيراً ، ولكنك أنت لم تتغير .. ما زلت ذلك الطفل الممتلىء بالقسوة والكراهية ، الذى كان يحلو له جذب شعرى فى قسوة

وتحطيم لعبى .. فقط تضاعف حجمك ، وانتقلت قوّتك وقسوتك إلى عباراتك وألفاظك الجارحة .

شعر بالخجل ، وهو يغمغم فى أسف :

– لست أدرى لماذا تخرج منى تلك العبارات دوماً ؟!

رسمَتِ ابتسامة باهتة على شفتيها ، وهى تقول :

– دع عنك الأسف ، فأنت تعجز عن نسيان كراهيتك لى ، على الرغم من أننا قد صرنا أصحاب مصلحة واحدة .

تركته يقف فى منتصف الردهة ، واتجهت إلى الشرفة ، وفتحتها ، ووقفت تستند إلى سياجها ، وتستنشق عبير البحر مسبلة الجفنين ، واقترب هو منها ، وحدّق فى الأمواج ، وهو يقول :

– أظننا بحاجة إلى بعض الوقت ، لنتأقلم على علاقتنا الجديدة ، وإلى أن يحين ذلك ، ينبغى على كل منا أن يحتمل الآخر ، ويغفر له بعض الأخطاء الصغيرة ، فأنا لا أكرهك إلى الحد الذى تتصوّرينه ، وربما ..

أقول ربما ، لو أن زواجنا لم يتم على هذا النحو ، لتغيرت علاقتنا كثيراً .

ظلت صامتة ، مسبلة العينين ، وهى تسأل نفسها فى أعماقها :

– أكان من الممكن أن يتم زواجنا أصلا ، لو لم يتم على هذا النحو ؟ .. إننى أعرف قدرى لديك ، وإننى آخر إنسانة كان من الممكن أن تختارها للزواج ، لولا ضغوط أبيك .

سعل هو ، قائلا :

– ما رأيك أن نستبدل ثيابنا ، ونذهب للجلوس أمام البحر قليلا ؟ .. الجو رائع اليوم ، وأشعر برغبة فى ممارسة بعض السباحة .

غمغمت ببساطة :

– لا بأس .

راقبها وهى تغادر الشرفة ، وتتجه إلى حجرتها ، ثم أسرع إلى الهاتف ، والتقط سماعته ، وطلب رقماً ما ، وقال فى لهفة :

– أريد الآنسة (كريمة) لو سمحت .

ساد الصمت لحظة ، وهو يتلفت حوله فى قلق ، وعيناه معلقتان بحجرة (إيمان) ، حتى سمع صوت محدثته ، عبر أسلاك الهاتف ، فقال فى لهفة :

– (كريمة) .. أنا (طارق) .. نعم ، هنا فى (الإسكندرية) ، فى فيلا (العجمى) .. لا وقت للشرح ، اسمعينى جيداً ، انتظرينى الليلة فى (البوريفاج) نعم فى مكان لقائنا المعتاد .

صمت لحظة ، وهو يستمع إليها ، ثم استطرد :

– فلنؤجل العتاب واللوم الآن ، وسأخبرك بكل شىء حينما نلتقى .

كانت (إيمان) تستمع إلى المحادثة فى صمت ، ثم لم تلبث أن اقتربت منه فى هدوء ، ولم يكد يعيد سماعة الهاتف حتى وجدها أمامه ، فاضطرب لظهورها المفاجئ ، على حين قالت هى فى هدوء :

– أنا مستعدة .. هيا بنا إلى الشاطئ .

* * *

استغرق (طارق) فى السباحة ، وبدا شديد الاستمتاع بمياه البحر الدافئة ،على حين جلست (إيمان) على الشاطئ ، وذهنها يردّد اسم (كريمة) ، تلك الفتاة التى واعدها زوجها باللقاء ، حمل قلبها إحساساً موجعاً بالغيرة والقلق ، إزاء تلك المنافسة المجهولة ، التى بدأت منافستها لها ، فى اليوم التالى لزفافها ، وكان عليها أن تحتمل هذه الصدمة أيضاً ، ما داما قد اتفقا على ألا تقيّده بقيود الزواج والحب ،ولكن التفكير أجهدها فغمغمت فى مرارة :

– حسبى أنه إلى جوارى الآن .. فلأقنع بذلك .

تطلّعت إليه ، وهو يسبح عائداً إلى الشاطئ ، وغمغمت :

– آه لو تعلم مقدار حبى لك ، وعذابى بك .

وكما توقّعت اختلق لها عذراً واهياً فى المساء ، ليلحق بموعده ، وراقبت هى سيارته ، من خلف نافذة الفيلا ، وهى تغوص فى أحشاء الليل ، والغيرة تنهش قلبها ، وحاولت أن تقاوم مشاعرها الجريحة بترتيب

المكان ، ومشاهدة التليفزيون ، ولكن ذلك الصراع العنيف فى أعماقها منعها من الاستمتاع بأى شىء ، ثم لم تلبث أن أوت لفراشها ، دون أن يغمض لها جفن ..

وكيف تنام ؟ ..

إن حبيبها الآن بعيداً عنها ..

إنه فى صحبة فتاة .. فتاة أخرى ..

* * *

بدت نسمات الهواء على شاطئ البحر كلفحات اللهب ، بالنسبة لـ (إيمان) ، التى قضت ليلتها مرهقة مسهدة ، على حين انشغل (طارق) فى مطالعة بعض الصحف والمجلات ، ثم لم تلبث أن سألته ، وهى مغمضة العينين :

– أيزعجك أن أسألك أين قضيت ليلتك أمس ؟

– إنها بعض الارتباطات الهامة .

– أى نوع منها ؟

– ولِمَ تسألين ؟

– من الأفضل أن أعلم أين تذهب ، فمن الممكن

أن يتصل عمى ، ويطلب التحدّث إليك ، وسيكون من السخيف ، كزوجة فى شهر العسل ، أن أجيبه بأننى لست أدرى أين أنت .

عاد يطالع صحيفته ، مغمغماً بلا مبالاة :

— حسناً .. سأحاول مراعاة ذلك مستقبلا .

أحنقتها إجابته ، ففتحت عينيها ، وقالت فى حدّة :

— لقد سمعتك تحدّث تلك الفتاة هاتفيًّا .

التفت إليها ، هاتفاً فى حدّة :

— أتتجسّسين علىّ ؟

هزّت كتفيها ، قائلة بلا مبالاة :

— لقد جاء الأمر بالمصادفة ، فلم تكن قد انتهيت من الحديث مع صديقتك بعد ، عندما حضرت لأبلغك باستعدادى للذهاب إلى الشاطئ ، فسمعت ، وعلى أية حال ، ليس هناك ما يدعوك للاحتداد ، فاتفاقنا هو ألا يتدخل أحدنا فى شئون الآخر الشخصية ، ما دامت لا تمس كرامته أمام الآخرين ، ولا تضر بالمصنع ، وكان يمكنك — بكل بساطة — أن تخبرنى أنك ذاهب

للقاء صديقتك ، بدلاً من استخدام عبارة « ارتباطات هامة » .

أغاظه برودها ، واعتدادها المبالغ فيه ، وأدهشه أنه كان يتمنى أن يثيرها ، وأن يراها غاضبة غيورة ، كأية زوجة ، فقال وكأنه يتعمد إثارة غضبها :

إنها ليست مجرّد صديقة .. إنها تعنى لى ما هو أكثر من ذلك .

خفق قلبها فى عنف ، إزاء هذا التصريح المفاجئ وبدأ التوتر على وجهها ، إلا أن كبرياءها دفعتها للحفاظ على أعصابها ، وهى تقول :

— إذن فأنت تعرفها منذ زمن ؟

— نعم .. من أكثر من ست سنوات ، قبل أن أغادر (القاهرة) إلى (أوربا) ، وكنا قد اتفقنا على الخطبة ، ولكن ظروف حالت دون ذلك .

— وهل كانت تعلم بقدومك إلى (الإسكندرية)؟

— إنها تقيم وتعمل هنا .

— أتعلم أيضاً أننا زوجان ؟

– نعم .
– وما تعليقها على ذلك ؟
– لِمَ تطرحين كل هذه الأسئلة ؟
تظاهرت باللامبالاة ، وهى تهز كتفيها ، قائلة :
– لإضاعة الوقت فحسب ، لا أظنك تحب أن نبقى صامتين طيلة الوقت .
– حسناً .. لقد ضايقها ذلك فى البداية ،ولكننى أفهمتها أن زواجنا لن يستمر لأكثر من عام ، وأنه يمكنها اعتباره عاماً إضافيًّا فى (أوروبا) حتى أتزوجها .
شعرت وكأنه قد صفع قلبها فى عنف ، فتماسكت قائلة :
– ولماذا عام بالذات ؟
– لأن زواجنا قد بنى على أساس خاطئ ، ولست أظن أنه سيستمر أكثر من ذلك ، ومع الوقت سأقنع أبى بأن هذا الزواج إجحاف حقيقى بى وبك ، وبأنه من المستحيل أن نزرع الحب فى قلبينا زرعاً ، ومن الأفضل أن ننفصل ، ليختار كل منا حياته

بنفسه ، وحينما يرى جدِّيَّتى ، وإخلاصى فى العمل ، وإدارة المصنع ، سيعلم أننى لم أعد ذلك الشاب المدلل ، ولم أعد بحاجة إلى وصاية أحد ، وأن فشل زواجنا لا يعنى فشلى فى إدارة المصنع ، ولو رفض كل ذلك ، سأتنازل لك عن الثروة ، وأكتفى بمرتبى .
ارتجفت شفتاها ، مع إحساسها بمرارة الهزيمة ، وآلمها كيف أنه يرفض الارتباط بها إلى هذا الحد ، وسالت دموعها على وجنتيها دون أن تدرى ، وأثار ذلك دهشته واهتمامه فى شدة ، فمد يده يمسح دمعتها ، قائلا :
– (إيمان) !!.. أتبكين ؟ .. أجَرَحت كلماتى مشاعرك .
أسرعت تمسح دموعها ، وهى تقول فى حدَّة :
– لست أبكى .. إنها ذرة رمل فحسب .
ولكنه شعر – لأول مرة – أنها كاذبة .. وأنها تحبه ..

* * *

٦ – ذابت بين ذراعيه ..

رغبة قوية فى أعماقها ، جعلتها تتلهف لرؤية منافستها ، وهى تتساءل بروح أنثى غيورة ، عما إذا كانت تفوقها جمالا ، وعلى الرغم من خشيتها من عواقب رؤية غريمة فائزة ، إلا أنها قالت لـ (طارق) ذات مساء ، وهو يدعوها لقضاء سهرة خارج الفيلا :

– ما رأيك لو دعوت صديقتك أيضاً ؟

تطلّع إليها فى دهشة ، وهو يقول :

– لماذا تقترحين ذلك ؟

– لقد تصوّرت أن هذا قد يضفى على سهرتنا لوناً أفضل ، بدلا من أن نقضيها صامتين كالمعتاد ، أو أن يتحدث كل منا بما يغضب الآخر ، وقد يعكس وجودها بعض السرور على سهرتنا .

لم يقنعه قولها ، فعاد يسألها فى دهشة :

– ألن يضايقك ذلك ؟

هزّت كتفيها فى لا مبالاة مصطنعة ، وهى تقول فى استعلاء :

– ولِمَ ؟ .. إن الحب منعدم بيننا ، ولقد عقدنا اتفاقاً .. أليس كذلك ؟

– ولكننى أخشى أن تجدى فى ذلك ما يُسىء إلى كرامتك !

– كلاً ، ما دمنا بعيداً عن مجتمعنا ، وما دامت تصرفاتكما لن تتجاوز الحدود .

– حسناً .. مادمت تريدين ذلك .

وازداد لهيبها ..

* * *

بدت (إيمان) باهرة الحسن ذلك المساء ، وهى تجلس مع (طارق) ، وقد ارتدت ثوباً رقيقاً ، أبرز جمالها وفتنتها ، وكأنها تعلن تحديها لغريمتها على نحو غير مباشر ، ولقد أدهش هذا الجمال (طارق) للغاية ، فراح يتطلع إليها مبهوراً ، وكأنما يراها لأول مرة ، فسألته فى دهشة وتعجُّب :

– لِمَ تحدّق فىّ هكذا ؟

ارتجف وكأنما أفاق من حلم ، وسعل فى حرج ، مغمغماً :

— لا شىء .. فقط أردت أن أقول .. أعنى ..

— تعنى ماذا ؟

— إنك رائعة الحسن هذه الليلة .

خفق قلبها فى قوة لعبارته ، وعجزت عن إخفاء سعادتها ، وهى تراه يبدى اهتماماً بها لأول مرة، ويمدح جمالها ، الذى ملأ عينيه لأول مرة أيضاً ، وبذلت جهداً للسيطرة على انفعالها ، وهى تقول فى برود ، يخفى لهيبها :

— ربما بدا لك كل ما حولك جميلا ؛ لأنك ستلتقى بمن تهوى بعد قليل ، فما أحسبك تلقى هذه العبارة فى ظروف عادية .

— لماذا .. أتحسبيننى منعدم المشاعر ؟

— كلاً ، ولكنها أول مرة تطرى جمالى .

نطقت عبارتها فى دلال ، إلا أنه بدا وكأنه لم يسمعها ، فلقد تعلّق بصره بنقطة ما خلفها، مما دفعها

إلى الالتفات ، فوقع بصرها على حسناء فاتنة ، هيفاء القوام ، قصيرة الشعر أسوده ، وأدركت على الفور أنها الفتاة التى ظفرت بقلب زوجها وحبيبها ، وخاصة حينما يلوّح لها بيده ، ورأتها ترد تحيته بابتسامة زادتها فتنة ، وهى تتحرّك نحو مائدتهما ، فشعرت بغصة فى قلبها ، وبالندم على طلبها مشاركة الفتاة لهما ؛ إذ تيقّنت أنها أضعف بكثير من الموقف ، الذى وضعت نفسها فيه ، وهى ترى (طارق) يستقبل الفتاة فى لهفة ، ويقدّمها لها ، قائلا :

— هذه (كريمة) ، التى حدثتك عنها ، وهذه زوجتى .

تصافحتا فى هدوء ، واتسعت ابتسامة (كريمة)، وهى تقول :

— تسعدنى مقابلتك يامدام (إيمان) .

أجابتها (إيمان) بابتسامة شاحبة ، وصوت مختنق:

— أنا أيضاً تسعدنى مقابلتك .

أزاح (طارق) مقعده قليلا ، وترك (كريمة)

تجلس ، ثم جلس فى مواجهة الاثنين ، وران على ثلاثتهم الصمت قليلا ، وراح (طارق) ينقل بصره بينهما ، على حين تحاشت كل منهما نظرات الأخرى ، وبدا الموقف فى مجمله عجيباً ، حتى سعل (طارق) كعادته ، كلما أصابه الحرج ، وقال :

— لقد أصرّت (إيمان) على تعرّفك ، ودعوتك لقضاء السهرة معنا يا (كريمة) .

استعادت (إيمان) تماسكها ، وهى تقول :

— ولكنك لم تخبرنى أن صديقتك رائعة الجمال إلى هذا الحد .

شجّعت العبارة (كريمة) ، لتتخلص من حرجها فقالت :

— شكراً لمجاملتك الرقيقة .

— لست أجامل .. إنها الحقيقة .. أهنئك على حسن اختيارك يا (طارق) .

لم يجد (طارق) ما يجيب به زوجته ، فتشاغل بطلب قائمة الطعام من النادل ، وترك (كريمة) تقول :

— لقد بدا لى الأمر غريباً فى الواقع ، حينما تلقيت دعوتك ، بعد أن عرفت طبيعة العلاقة التى تربطنى بـ (طارق) ، ولكن (طارق) أطلعنى على الأمر كله ، وعلى الهدف من زواجكما ، وأنا أحيّى هذا التفكير العملى فيك ، الذى ستنعكس آثاره علينا جميعاً ، وأرجو أن نظل أصدقاء فى المستقبل ، فأنت ابنة عمّ (طارق) .

حركت (إيمان) أصابعها فوق المائدة فى عصبية ، وهى تحادث نفسها ، قائلة :

— أصدقاء ؟!.. أتسلبنى حبيبى وزوجى ، وتريد أن نصبح صديقتين .. يا للوقاحة !

وتخلّصت من شرودها فى سرعة ، وأعادت رسم الابتسامة على شفتيها ، وهى تقول :

— سيسعدنى بالطبع أن نظل صديقتين ، خاصة وأنا أعلم مدى تعلّق (طارق) بك ، وهو سيبقى فى النهاية ، وبعد أن نسوّى كل الأمور فيما بيننا ، شريكى وابن عمى ، وسيبقى أحبّاؤه وأصدقاؤه لى أيضاً .

ولكن (كريمة) تشاغلت عنها بالتمايل على أنغام تلك المقطوعة الموسيقية ، التى تتردد فى المكان ، ثم تطلعت إلى (طارق) بنظرة ذات مغزى، وهى تقول :

– ما أجمل تلك الموسيقى الهادئة !

شعر (طارق) بالحرج ، وهو ينقل بصره بينها وبين زوجته ، ثم لم يلبث أن تغلّب على حرجه ، وهو يقول لـ (كريمة) :

– أترغبين فى الرقص ؟

هبّت واقفة على الفور ، وهى تقول فى حماس :

– بالطبع يا حبيبى .. إننى أعبد رقصة (التانجو) كما تعلم .

قادها إلى حلبة الرقص ، وهو يومئ برأسه لزوجته ، التى احتفظت بابتسامتها المصطنعة بعض الوقت ، ثم لم تلبث أن تركت العنان لغضبها وغيرتها ، وهى تتطلّع إليهما يرقصان فى انسجام كامل ، وأخذ جسدها يرتجف فى قوة ، وهى تنقر على سطح المائدة فى عصبية، وبدت مستعدة للقيام بأى تصرف طائش،

إذ راودتها الرغبة فى مفارقة المائدة ، وانتزاع زوجها من بين ذراعى غريمتها ، صائحة فى وجهها :

– هذا الرجل لى وحدى ، ولن تشاركينى فيه .

أو تغادر المكان على الأقل .. إلا أنها لم تفعل ، وإنما راحت تقول لنفسها :

– يا لك من عاشقة حمقاء !! .. أهذا هو الصمود والصلابة ؟ .. أين خطتك لاجتذاب قلب (طارق) ؟ إنك بتصرّف طائش واحد تخسرين كل شىء .

بدا وكأنها قد أصيبت بانفصام الشخصية ، حينما أردفت فى عصبية :

– فلتذهب الخطة إلى الجحيم ، فليأخذ مصنعه وثروته كلها ، فلست أريده ، ولم يعد يعنينى أن يحبنى .. الأمر لا يحتاج إلى كل هذه التعقيدات .. إنه دائماً صاحب العديد من العلاقات ، وها هو ذا يحب فتاة ، ويعدها بالارتباط منذ سنوات ، ثم يتمسّك بها ، فلتأخذه إذن ، وكفانى إهانات لكرامتى .

لم تدر أن (طارق) كان يراقبها خلسة ، وأنه قد

لاحظ اختلاجات وجهها ، حتى انتهت الرقصة ، وظلّت (كريمة) متعلّقة بعنقه ، وهى شبه هائمة ، فأبعدها عنه فى رفق ، وهو يقول :

– (كريمة) .. لقد انتهت الرقصة .

بدا وكأنها تستفيق من حلم جميل ، وهى تقول :

– هكذا ، سريعاً ؟!

همّا بالعودة إلى المائدة ، ولكن الفرقة الموسيقية عادت تعزف لحناً جديداً ، فقالت (كريمة) فى هيام:

– ما رأيك فى رقصة ثانية ؟

منحها ابتسامة ودوداً ، وهو يقول :

– أظنّ أنه من الواجب أن أدعو زوجتى لهذه الرقصة .. أليس كذلك ؟

غمغمت فى حنق :

– لا بأس ، ولكن حذار أن تلامسها أكثر مما ينبغى.

ضحك قائلا :

– أنسيت أنها زوجتى ؟

لم تشاركه ضحكته ، وإنما توقفت على قيد

خطوات من المائدة ، واحتقن وجهها ، وهى تقول فى غضب :

– ماذا تعنى ؟ .. ألم تقل إنكما منفصلان ؟ .. أسمحت لنفسك بملامستها من قبل ؟

شعر بالحرج ، وأخذ يجذبها فى رفق ، قائلا :

– لا .. لا بالطبع .. ليس هناك ما يربطنا سوى ورقة رسمية .. كفى عن حماقاتك .

جلست على مقعدها حول المائدة ، وقالت وكأنها تتعمد إغاظة (إيمان) :

– إنها رقصة ممتعة ، خاصة مع راقص بارع مثل (طارق) .

قالت (إيمان) وهى تحاول إخفاء غضبها :

– أنت لاتقلّين عنه براعة .

ابتسمت (كريمة) فى خبث ، وكأنما أدركت بغريزتها الأنثوية أن (إيمان) تلتهب غيرة ، وقالت لتزيد من غيرتها :

– يسرنى أنك قد لاحظت ذلك .

تسارعت نقرات أصابع (إيمان) على المائدة ، فمال (طارق) نحوها ، قائلا :

— ما رأيك بمشاركتى هذه الرقصة .

أجابته فى جفاء :

— لست أستسيغ الرقص .

ضحكت (كريمة) ، وهى تقول فى خبث :

— لا تحرجها يا (طارق) .. ربما أنها لا تجيد الرقص حقًّا ، فهى — كما أخبرتنى — متفرغة للعمل فى إدارة المصنع .

استفزت كلماتها (إيمان) ، فهبَّت واقفة ، وهى تقول فى تحد :

— من السهل أن تجيد الرقص ، ولكن من الصعب أن تنجح فى إدارة مصنع ، والأكثر صعوبة أن تجيد الاثنين معاً .

ثم التفتت إلى (طارق) ، مستطردة فى كبرياء :

— هيَّا .. سأشاركك رقصتك .

* * *

همس (طارق) فى أذنها ، وهما يرقصان فى رشاقة :

— لو لم أكن واثقاً من مشاعرك نحوى ، لقلت إنك تشعرين بالغيرة .

أجابته فى استعلاء :

— ممن ؟ .. وعلى مَنْ ؟ .. لاتسرف فى الخيال ياعزيزى ، فالغيرة ملح الحب ، ولسنا نملك هذا الأخير .

بدا عليه الامتعاض لقولها ، على حين راحت أعماقها تصرخ :

— يالك من كاذبة ! .. لو أمكنه قراءة أعماقك الآن لفضح كذبك ، وعرف أن كل ذرة فى كيانك تهتف بحبه ، وبالغيرة عليه .

فوجئت به يقول فى رقة أدهشتها :

— إنك تجيدين الرقص حقًّا .. أفضل منها .

تراجعت برأسها ، وتطلَّعت إليه برهة فى دهشة ، ثم غمغمت :

– شكراً لمجاملتك اللطيفة .

– لست أجاملك .

– إذن فأنت تبالغ هذه الليلة بلا داع ، فلقد أطريت جمالى فى البداية ، ثم رقصى الآن ، على الرغم من انسجامك التام معها ، وحبك لها . لِمَ لا تكون مباشراً صريحاً ؟

لم يتخل عن ابتسامته ، وازداد صوته عمقاً ودفئاً ، وهو يقول :

– إننى لم أكن مباشراً وصريحاً فى حياتى ، مثلما أنا الآن .. صحيح أننى أحب (كريمة) ، وأراها جميلة ، إلا أننى أصرّ على أنك تفوقينها جمالا ورشاقة .

تضاعفت دهشتها ، ولم تدر أتصدّقه أم تكذبه ؟! أيسعدها قوله أم يحزنها ؟!

وفجأة تلاشت دهشتها وحيرتها ، وتبخر اضطرابها حينما ضمها إلى صدره ، فألقت رأسها على كتفه العريضة فى استسلام ..

ذابت كل مشاعرها وأحاسيسها ، ومقاومتها

وكبريائها .. بل تلاشى إحساسها بالمكان والزمان ، وبكل مايدور حولها ، وهى تتمنى أن يبقى الحال على ماهو عليه لساعات طوال ..

حتى (طارق) شعر بإحساس غريب يغمره ، وهو يحتويها بين ذراعيه .. إحساس لم يعرف مثله من قبل ، ولا يجد له تفسيراً ..

رغبة قوية فى ألا تُفلت من بين ذراعيه أبداً ..

وفجأة انتبه كلاهما إلى توقّف الموسيقى الهادئة ، وتحوّلها إلى موسيقى صاخبة ، وراح كل منهما يتطلّع إلى الآخر فى دهشة واستغراب ، على حين حدجتهما (كريمة) بنظرة غاضبة محنقة ..

نظرة حملت كل شكها ، فيما يدّعيه كل منهما عن طبيعة زواجهما ..

وفى أعماقها رمتهما بالكذب ..

... وبالحب ...

* * *

٧ ـ العودة الى المنزل ..

ما من شك فى أن أيام العسل المزعومة قد تركت أثرها فى نفسيهما ، فلقد لاحظت (إيمان) أن (طارق) أصبح أكثر لطفاً وليونة معها ، وهى تعترف بأنه قد بذل الكثير ، فى اليومين الأخيرين ، ليكسب رضاها ، لولا أن وجود (كريمة) فى معظم الوقت ، كان يفسد عليها إحساسها بما طرأ عليه من تغيير ، ويجعلها تتقبّل عطفه ورقته بشىء من المرارة ، إلا أنها ، وعلى الرغم من كل شىء ، لم تنس تلك الليلة التى راقصها فيها ، حينما سرى فيهما شعور غريب ، هو شىء أقوى من عقد زواجهما بالتأكيد ، ومن طموحهما المادى ، وكبريائهما .. شىء مسّ روحها ، وأخبرها أنه لها ، وأنها له ، ولن يفترقا أبداً ، مهما كانت العقبات ، وعلى الرغم من أنها كانت تنفض ذلك الإحساس فى قوة ، وترجعه إلى رومانسية ولّدتها فى أعماقها عواطفها نحوه ، إلا أنه كان يعاودها فى إصرار وعناد عجيبين .

ولم يكن (طارق) بأقل حيرة وتخبُّطاً ، فقد حاول خلال الأيام والليالى السابقة ، أن ينفى من نفسه أية عاطفة تجاه (إيمان) ، وأن يؤكِّد أن قلبه قد استقر على حب (كريمة) ، ولكن محاولته نفسها بدت له وكأنها محاولة لنفى تهمة ، وهو يعترف بأنه ينسى (كريمة) تماماً ، حينما ينفرد بـ (إيمان) ، التى عاشت معه كابنة عمه منذ الطفولة ، وكان ينفر منها دوماً ، بل يكرهها فى بعض الأحيان ، دون سبب ظاهر ، ولقد ازداد نفوره منها ، وكراهيته لها ، حينما أُجبر على الزواج منها ، ولكن هناك تغيراً طرأ على مشاعره نحوها ولاشك ، فهو يراها ـ فى بعض الأحيان ـ فتاة جذابة إلى أقصى حد ، على الرغم من أنها لا تظهر له شيئاً من العاطفة ، بل أصبح يجد السعادة فى محاولاته إسعادها ، وكسب رضاها ، ولكن من العجيب أنه كلما لاحظ فى نفسه ذلك ، شعر بالضيق والسخط ، لعجزه عن السيطرة على مشاعره ، وها هو ذا قد ترك (كريمة) فى (الإسكندرية) ، مع وعد بلقاء قريب ،

ولكن لم يشعر لوداعها بنفس ذلك الأثر ، الذى تركته فى نفسه ، وهو يودّعها إبان سفره إلى (أوروبا) .. ربما لأنه فراق قصير قريب هذه المرة ، ولكنه لايشعر بلهفة حقيقية للقاء آخر ، فماذا يعنيه ذلك ؟ .. أهو أمر طبيعى ؟ لأن أى حبيبين ، مهما بلغ حبهما ، تمر بهما لحظات من برودة المشاعر ، تعود بعدها مشاعرهما أكثر قوة وحرارة .. ربما ..

* * *

استقبلهما (منصور) بك ، والد (طارق) ، فى بشر وترحاب عند عودتهما ، وبصحبته شاب وسيم ، يمتلىء بالحرارة والحيوية ، أثار انتباه (طارق) ، الذى لم يتعرّفه من قبل ، وأثار دهشته ، حينما وجد (إيمان) تصافحه فى حرارة ، قبل أن تقدمه له ، قائلةً :

– المهندس (جمال) .. أفضل مهندسى التصميمات فى شركتنا .

وصافحه (جمال) ، قائلا بابتسامة جذابة ، وأسلوب مهذب :

– يسعدنى تعرّفك يا أستاذ (طارق) .

لم يبد (طارق) حماساً ، وهو يصافحه ، مغمغماً :

– أظن أننا لم نلتق من قبل .. أليس كذلك ؟

قال الأب :

– لقد تم تعيين المهندس (جمال) فى الشركة ، فى أثناء سفرك إلى الخارج ، والفضل يعود إلى (إيمان) ، فتصميماته الجديدة لمنتجاتنا زادت الطلب عليها كثيراً ، وهو يحتل الآن منصب رئيس قسم التصميمات بالمصنع ، فضلا عن أنه موضع ثقتنا جميعاً ، وعليك أن تتعامل معه مستقبلا على هذا الأساس .

تجاهل (طارق) نصيحة والده ، وقال فى برود :

– معذرة .. إننا متعبان من رحلة السفر ، سنصعد إلى حجرتنا ؛ لنرتاح قليلا .. هيَّا يا (إيمان) .

ولكن (جمال) استوقفهما ، مغمغماً فى ارتباك :

– معذرة لإزعاجكما ، ولكننى لم آت لتهنئتكما

والترحيب بكما فحسب ، وإنما للتشاور مع مدام (إيمان) فى أمور خاصة وعاجلة ، تخص المصنع .

سألته (إيمان) فى قلق .

– هل الأمر خطير إلى هذا الحد ؟

– كلاً ، ولكننا نحتاج إلى اعتمادات عاجلة ، لجلب الخامات المطلوبة ، حيث إن المقدار المتوافر منها ، فى السوق المحلية محدود ، وهناك شركات أخرى تنافسنا فى الحصول عليه ، ونحتاج إلى مراجعة الأسعار ، وتقدير موافقتك عليها ، قبل وضع التصميمات ، التى ستتوقف على مقدار ما يتوافر لدينا من خامات .

– ولماذا لم تعرض ذلك على عمى ؟

– لقد فعلت .. ولكن ..

بدا مرتبكاً ، فأكمل عمها ، قائلا :

– ولكننى لا أقرّر أمراً دون مشورتك، فصحيح أننى أمتلك الخبرة ، ولكن أنت تملكين موهبة تقدير الأصلح ؛ لذا فقد طلبت منه انتظار عودتك .

زَفَر (طارق) فى ضيق ، ووجه حديثه إلى المهندس (جمال) ، قائلا :

– أتظن أن هـذا هو الوقت المناسب ، للخوض فى مثل هذه الأمور ؟ .. ألم يكن من الأفضل أن ننتظر إلى الغد ، لنستريح من متاعب السفر على الأقل .

ارتبك (جمال) ، وهو يقول :

– أنا آسف ، ولكن المصنع المنافس يسعى للحصول على الخامات غداً ، ولقد نجحت فى الحصول على مهلة إلى الغد ، اعتماداً على علاقتى الجيدة بالشركة المنتجة .

تطلّعت (إيمان) إلى زوجها ، قائلة فى رقة :

– اصعد أنت لتستريح ، وسأبقى بعض الوقت لمراجعة الأوراق المطلوبة .

وأشارت إلى (جمال) ؛ ليصحبها إلى حجرة المكتب ، مستطردة :

– تفضّل يا باشمهندس .

سار الاثنان فى صحبة الوالد إلى حجرة المكتب ، وبقى (طارق) وحده .

لم يكن وحده تماماً ..

كان معه رفيقان ..

الوجوم والعبوس ..

* * *



٨ ـ الحب الثائر ..

أبدى (طارق) ، خلال الأسابيع التالية ، تقدماً ملحوظاً ، فيما يتعلّق بنشاطه فى العمل ، وبدا وكأنه قد هجر تماماً شخصية الشاب العابث المدلّل ، الضعيف أمام أهوائه ، والتى كان عليها فى الماضى ، وتحوّل إلى شخص آخر ، يقدّر المسئولية ، ويحرص على النجاح ، ولقد أثار تحوّله هذا سعادة والده ، الذى حرص على كتمان مشاعره ، خشية أن يكون حكمه متسرّعاً ، وإن أبدى إعجابه لـ (إيمان) ، قائلا :

ـ يبدو أن خطتنا تسير فى الطريق الصحيح ، فهاهو ذا (طارق) يزاول مسئولياته فى المصنع بهمة ونشاط ، لم أعهدهما فيه من قبل .. لقد تغير كثيراً ، فهو يقضى معظم وقته داخل المصنع ، على الرغم من أنه لم يكن يطيق البقاء به فى الماضى ، ثم إنه لم يعد يسهر خارج البيت ، بعد عودته من المصنع .. لقد كان تقديرى فى محله .. إن تأثيرك عليه عظيم حقًّا .

وعلى الرغم من سعادتها لما صار إليه (طارق) ، لم تكن (إيمان) واثقة من أن لها أى دور فى تحوُّل (طارق) ، وإنما كانت تُرجع ذلك إلى طموحه الشخصى ، وخطته التى صارحها بها، خلال وجودهما فى الإسكندرية ، لكسب ثقة أبيه، وإقناعه بتقبُّل فكرة انفصاله عنها ، دون حرمانه امتيازاته ، مما يهيئ له فرصة الزواج من (كريمة) ، التى سافر إليها وحده فى الأسبوع الماضى ..

إنها تعلم أن نجاحه سيحرمها إيَّاه ، ولكنها سعيدة من أجله ، وتتمنى له المزيد من النجاح ، والمزيد من حب أبيه وإعجابه ..

ولكن ماذا عنها هى ؟ .. أتقنع بدورها المثالىّ فى حبه ، وتتخلى عن أحلامها وأمنياتها ؟ ..

إن زواجها منه لم يكن نهاية المطاف ، وإنما كان بالنسبة لها نقطة بداية حقيقية ، كى تقترب منه أكثر ، وتحرِّك عواطفه نحوها .

كان هذا هو هدفها ..

ولكنها لم تفعل شيئاً .

إنها تتيح له تحقيق خطته للابتعاد عنها ، دون أن تحرِّك ساكناً ، فيما عدا ذلك الجفاء المصطنع ، الذى تبديه له ، وتلك الكرامة المبالغة ، التى تعامله بها ، على الرغم من أن معاملته لها قد تغيرت كثيراً ، فهو يحاول التعامل معها دوماً فى رقة واحترام ، إلا أنه لم يحاول أبداً أن يبدى لها لمحة حب واحدة ، مما أهان كبرياءها كأنثى ، إذ لاحظت أنه يتقرَّب منها كصديق ، لا كزوج أو حبيب ، وهذا يعنى أنه مازال يرفضها على الوضعين الأخيرين ، بعد أن فرضت نفسها عليه كزوجة ..

ولكنها لن تتنازل عن كبريائها أبداً ، ولن تفرض عليه مشاعرها وحبها ..

وكثيراً ما بكت ، فيما بين نفسها ، وهى تقول :

— الأمر خطأ منذ البداية .. ليتنى ما وافقت على هذه اللعبة ، فأنا وحدى سأتحطم فى النهاية .

أما (طارق) ، فعلى الرغم من سعادته وثقته

بنفسه ، لانغماسه فى العمل ، وتخلُّصه من تلك الشخصية المدللّة ، التى كانها فى الماضى ، كانت سعادته دوماً مبتورة ناقصة ، فهناك مايدفعه إلى التقرُّب من (إيمان) حيث لايجد منها سوى كل صدّ ونفور وفتور ، وكم أدهشه أن يتبادلا الأدوار على هذا النحو ، ففى الماضى كان هو يصدها ويعاملها فى قسوة وفتور ، ويتعالى على فقرها ، وضعفها ، وانبهارها الواضح به ، وكان يلذ له أن يرى تأثير ذلك عليها . ثم هاهى ذى الأيام تجعله يسعى لاسترضائها ، ويعترف بإعجابه بها . ثم تستقبل هى كل ذلك بكبرياء وفتور . ولا مبالاة ، على حين تقضى الساعات الطوال مع ذلك المهندس (جمال) ، وعيناها تحملان له كل تقدير وإعجاب ، فتتبسّط معه ، وتخاطبه باسمه مجرَّداً ، كما لو كانا صديقين ..

وعلى الرغم من محاولته التظاهر بتجاهل ذلك ، خشية أن تظن إيمان أنه يغار ، إلا أنه كان يشعر حقاً بالغيرة .. الغيرة !! .. كم أعاد هذا ذاكرته إلى عبارة

(إيمان) : « الغيرة هى ملح الحب » .. أيعنى هذا أنه قد بدأ يحبها ؟ ..

عند تلك النقطة بالذات كان يفرّ من أفكاره ، وكأنما يخشى أن تصل به إلى تلك النتيجة ، أما فى هذه الليلة ، وهو جالس فى حجرته بالمصنع ، فلم يفرّ من أفكاره ، بل استسلم لها ، قائلا لنفسه :

— ولِمَ لا ؟ .. إن (إيمان) تمتلك من المميزات ما لا يملك المرء أمامه سوى أن يحبها ، فهى جميلة ، ذكية ، ذات شخصية مستقلة ، جذابة على نحو لست أدرى كيف لم ألحظه من قبل ، ولكن (كريمة) ! .. عجباً !! .. إننى لم أعد أفكر فيها كثيراً ، وإن كنت لا أجزم بأننى لم أعد أحبها ، فما زلت أجد لها مكاناً فى قلبى .. ما أعجب النفس البشرية !!

كان غارقاً فى شروده وأفكاره ، حينما دلفت (إيمان) إلى الحجرة ، واقتربت منه ، قائلة :

— لماذا بقيت فى المصنع ، حتى هذه الساعة ؟

رفع عينيه إليها ، وأجابها فى خفوت :

– منذ متى يهمك أمرى على هذا النحو .

أبعدت عينيها ، و تظاهرت بترتيب بعض الأوراق فوق مكتبه ، وهى تجيب :

– المفروض أننا زوجان ، وانصراف كل منا وحده يثير الأقاويل .

قال فى مرارة :

– الأقاويل ؟! .. أهذا هو كل ما يقلقك ؟

حدّقت فى وجهه ، قائلة :

– وقد يلحظ عمى تباعدنا أيضاً .

قال فى سخرية مريرة :

– إننى أؤدى دورى على أكمل وجه ، وأظنك لاحظت أننى أبدى نحوك الكثير من المشاعر الجميلة فى الآونة الأخيرة ، ولكن يبدو أنك تعجزين عن أداء الدور نفسه .

غمغمت فى ضيق :

– أهنئك ، فأنت تجيد التمثيل فى براعة ، فلقد كدت أصدّق تلك المشاعر .

شعر بخطئه ، فأسرع يقول :

– لقد أخطأتِ فهمى .. إننى لم أقصد ذلك المعنى الذى تصوّرته .. لست أدرى لماذا تجبريننى أحياناً على قول ما لا أعنيه ؟.. ربما كان التحدى والغطرسة فى أسلوبك معى ، ولكننى أحمل لك بالفعل الكثير من المشاعر الطيبة ، فأنت ابنة عمى ، ولقد نشأنا معاً ، تحت سقف واحد ، وأشعر أحياناً بالذنب ؛ لأننى قد أسأت إليك فى الماضى .

كان حديثه يلقى صدًى فى نفسها ، لولا عباراته الأخيرة ، فهى لا تسعى لنيل عطفه أو شفقته ، ولكنه تقدُّم على أية حال ، ولعل هذه المشاعر تقوده إلى العواطف التى تحلم بها ، ولكن شيئاً ما فى أعماقها هتف بها :

– لا تحلمى كثيراً .. فقد يحدث هذا أو لا يحدث ، ولن يتبقى لك سوى الوهم والندم .

ابتسم (طارق) ، وهو يقول :

– لقد تصوَّرت الشرود علة أصابتنى وحدى ، ولكن يبدو أنها قد أصابتك أيضاً .

هزَّت رأسها ، وكأنما تنقض عنها الشرود ، وهى تقول :

– يحسن أن نعود إلى المنزل الآن .

– ما زالت أمامى بعض أوراق أنوى مراجعتها .

– ولكن عمى ينتظرنا هذه الليلة على العشاء .

– اعتذرى له نيابة عنى ، فسأقوم بالمرور على الوردية الليلية أيضاً .

تصنَّعت عدم الاهتمام ، وهى تقول :

– كما تحب .. سأترك لك السيارة ، وأحب أن أسجل تقديرى لهمتك ونشاطك فى الآونة الأخيرة .

ثم ابتسمت مستطردة :

– بشرط أن تتخلَّى عن ذلك الشرود ، الذى ينتابك من آن لآخر .

– كيف ستعودين وحدك ، دون السيارة ؟ .. استقلِّى سيارة المصنع .

– لا تقلق بالك .. سيوصلنى المهندس (جمال) بسيارته .

اضطرب لدى سماعه الاسم ، وهتف فى انفعال :

– ولماذا (جمال) بالذات ؟

تطلَّعت إليه فى دهشة ، قائلة :

– ولِمَ كل هذا الانفعال ؟ .. أنت تعلم أنه ليس مجرَّد موظف هنا .. إنه صديق .

احتدَّ ، هاتفاً :

– وما معنى كلمة صديق هذه ؟ .. الزوجة المحترمة لا تقبل أن يكون لها صديق .

قابلت حدَّته بصرامة ، قائلة :

– لست أسمح لك أن تتحدث معى على هذا النحو .

غمغم محاولا السيطرة على أعصابه :

– لقد أفلتت منى العبارة .. يبدو أننى أحتاج إلى بعض الراحة حقًّا .. هيَّا .. سأصحبك بنفسى إلى المنزل ..

شعرت أنه ما فعل ذلك ، إلا ليحول بينها وبين (جمال) ، وعلى الرغم من الغضب المرتسم على وجهها كانت أعماقها ترقص فى سعادة ، فقد أدركت هذا الشعور ..

الغيرة ..

* * *



٩ ـ الكلمة الصامتة ..

قرَّرت (إيمان) ، فى اليوم التالى ، أن تكون أكثر تودُّداً مع زوجها ، مما دعاها إلى التفكير فى دعوته لتناول الغداء معها خارج المصنع ، ولم تكد تنتهى من مراجعة الحسابات ، حتى سألت الساعى :

ـ أين الأستاذ (طارق) ؟

أجابها الساعى :

ـ إنه يمرُّ على عمال العنابر الداخلية ياسيِّدتى .. أتريدين أن أستدعيه .

ـ كلاَّ ياعم (محمود) .. سأذهب إليه بنفسى .

اتجهت إلى العنابر الداخلية ، ولم تكد تشاهد زوجها حتى اتجهت نحوه ، ولكن المهندس (جمال) قطع طريقها ، وهو يقول فى حرارة :

ـ (إيمان) هانم !! .. ما الذى أتى بك إلى العنابر ؟

ارتبكت ، وهى تبحث عن الكلمات المناسبة ، مغمغمة :

— فى الواقع .. لقد ..

قاطعها (جمال) :

— كنت فى طريقى إليك على أية حال ، فلدينا مشكلة هامة :

سألته فى توتر ، وهى تتطلّع إلى زوجها ، الذى رماهما بنظرة غاضبة من موقعه :

— أية مشكلة ؟

— لدينا عجز فى الكيماويات .

— ولِمَ لَمْ تحصل على ماتريده من أمين المعمل ؟

— المشكلة أن أمين المعمل لم يحضر اليوم ، وكذلك المهندس (فتحى) ، والمفتاح الوحيد الباقى مع سيادتك .

— ألا يمكن تأجيل ذلك بعض الوقت ؟

— إننا نحتاج إلى الكيماويات فوراً ؛ ليبدأ الخط الثالث إنتاجه .

لم تجد لديها مفراً ، سوى أن تقول فى استسلام :

— حسناً .. تعال معى .

عادت أدراجها بصحبة (جمال) ، على حين

راقبها (طارق) من بعيد بضيق بالغ ، وشرد فكره عن ملاحظة ما جاء لمراقبته ، ثم لم يلبث أن غادر العنبر فى خطوات سريعة بحثاً عنهما ، ولما لم يجدهما فى المكاتب ، اتجه نحو الفناء ، والتقى بزوجته هناك ، واستقبلته هى بابتسامة رقيقة ، وهى تقول فى صوت ودود :

— (طارق) ! .. أين كنت ؟ .. لقد سألت عنك فى العنابر ، فقالوا إنك فى المكاتب .

قال فى انفعال :

— ولِمَ كلّفت نفسك عناء العودة للبحث عنى ؟. انتهيت من صحبة المهندس (جمال) بهذه السرعة ؟

قالت فى هدوء :

— لقد صحبت (جمال) لإحضار الـ ....

قاطعها فى انفعال :

— لا يهمنى أين ذهبت معه ، ولكن دعينى أذكرك باتفاقنا ، فالحرية الممنوحة لكل منا تشترط محافظة كلّ على كرامة الآخر أمام الآخرين .. أليس

كذلك ؟ .. ولقد رآك عشرات العمال تصحبين ذلك المهندس داخل العنابر ، متجاهلة زوجك تماماً ، وهو رئيسهم فى الوقت ذاته و ..

قاطعته فى حدة :

– ماذا تقول ؟ .. لقد ذهبت مع المهندس (جمال) إلى المخازن ، ليحصل على بعض الكيمياويات المطلوبة للتصنيع ، ولقد ذهبت إلى العنابر خصيصاً لأدعوك إلى الغداء ، ولكن (جمال) استوقفنى ، وفاجأنى بنقص الكيمياويات ، وعدم وجود أمين المعمل أو المهندس المختص ، مما اضطرنى لمصاحبته ، وفتح المعمل له ، وبعدها عدت أبحث عنك ، فلم أجدك .

لم يدر ماذا يقول ، وشعر بالخجل من انفعاله ، وقبل أن يتغلب عليه ، اقترب أحد العمال من (إيمان) وقال :

– يقول الباشمهندس (جمال) إنه سيحتاج إلى كمية أخرى من المواد الكيميائية يا سيدتى .

رمقت (إيمان) زوجها بنظرة صارمة ، وكأنما

تشير إلى أن هذا القول يؤكد صدقها ، ثم انصرفت يتبعها العامل ، وتركت (طارق) وحده ، يشعر بالخجل ، وحاول أن يناديها ، ولكن هتافه لم يتجاوز حلقه .. لم يتجاوزه أبداً ..

* * *

تمددت (إيمان) على فراشها ، تطالع إحدى المجلات ، وهى تتطلع إلى ساعتها من آن إلى آخر فى قلق ، فقد انتصف الليل ولم يعد (طارق) إلى المنزل بعد ، ولقد نجحت هى فى تهدئة مخاوف عمها ، بعد أن علم من المصنع أن ابنه قد غادره فى السابعة مساء ، وعلى الرغم من أنه لم يعلم شيئاً عن شجارهما ، إلا أنه كان يشعر أن الأمور غير مستقرة بينهما ، وكان هذا الشعور يراوده منذ عودتهما من شهر العسل ، على الرغم من حرصهما على عدم إظهار خلافاتهما أمامه ..

ولقد أرهفت (إيمان) سمعها ، وهى تنتظر عودة (طارق) ، حتى سمعت صوت خطواته ، وهو يصعد السلم ، فاعتدلت فى رقدتها ، وتظاهرت

بالاستغراق فى مطالعة المجلة ، حتى فتح هو الباب ، وقال :

– أأدخـــل ؟

قالت ، دون أن ترفع عينيها عن المجلة :

– وهل أمنعك من دخول حجرتك ؟

جلس على حافة الفراش ، وسألها فى مودة :

– ماذا تقرئين ؟

تلامس كتفاهما ، وهو يميل ليطالع المجلة معها ، فتركتها له ، وغادرت الفراش ، ووقفت أمام النافذة ، تتطلّع إلى السماء فى صمت ، فاتجه هو إليها ، وقال فى همس :

– اغفرى لى حماقتى .. لقد أسأت التصرُّف ، ولكن ..

قاطعته فى مرارة :

– ولكنك تخشى أن أسىء إلى كرامتك أمـام الآخرين ، وهذا كل ما يهمك .. أليس كذلك ؟ .. اطمئن ، فكرامة كل منا ترتبط بالآخر ، بسبب العقد

الذى يربطنا ، وأنا ألتزم دوماً بشروط كل العقود .

– ليس هذا ما أردت قوله ، ولكنك ابنة عمى ..

– فقط ؟

– وزوجتى .

– بحكم المصلحة المشتركة ؟

– كان هذا صحيحاً فى البداية ، ولكن ..

– ولكن ماذا ؟

– إننى .. إننى أشعر بالغيرة عليك يا (إيمان) .. الغيرة لمجرد التفكير أنك فى صحبة ذلك المهندس الشاب ... لقد كنت أعتبر الغيرة دوماً شعورًا أحمق ، من الغباء أن يستسلم الإنسان له ، ولكن هأنذا أستسلم لها ، وأسمح لها بدفعى إلى إساءة التصرف معك أيضاً .. ألديك تفسير لذلك ؟

أجابته فى وجوم :

– خوفك على كرامتك ، والتزامك بكونى ابنة عمك ، على الرغم منك .

هزَّ رأسه نفياً ، وهو يقول :

— كلاَّ.. ليس هذا هو التفسير الصحيح .. ولكن..

بتر عبارته ، فتطلّعت إليه فى لهفة وأمل ، وخفق قلبها فى عنف ، وهى تتساءل فى أعماقها :

— أسينطق تلك الكلمة، التى طالما تمنتها وحلمت بها يا تُرى ؟ .. أسيقول لها إن السبب هو أنه يحبها، وأن مشاعره قد تجاوبت معها أخيراً ..

انبعث فجأة رنين الهاتف داخل الحجرة ، وانتزع معه أملها ، إذ تجمدت الكلمات على شفتى (طارق) ، والتقط سماعة الهاتف ، وهو يقول :

— من المتحدّث ؟

صمت لحظة ، ثم هتف :

— (كريمة) ؟!.. أأنت هنا ؟ ! فى (القاهرة) ؟!

شعرت بغصّة فى حلقها وقلبها ..

لقد أتت تلك المحادثة ؛ لتنتزعه منها ..

لتقتل أملها ..

لتقتلها ..

* * *

١٠ ـ حبى المعذب ..

لم تكد سيارته تغيب عن عينيها، وهى تتطلّع إليها من خلف النافذة ، وهو فى طريقه للقاء (كريمة) ، حتى شعرت وكأن روحها قد فارقت جسدها، وراحت تبكى ، قائلة :

— لقد ذهب إليها .. تلاشت كل مشاعره نحوى، فور سماعه صوتها .. لقد نسى حتى أن يصحبنى إلى المصنع كعادته .

شغلت نفسها طيلة اليوم بعدد من الأعمال المرهقة فى المصنع ، فى محاولة للفرار من مرارتها وألمهـا ، وعاد (طارق) فى المساء ليجدها جالسة إلى جوار والده ، حول مائدة العشاء، فحيّاهما فى مرح، قائلا :

— مساء الخير .. من حسن الحظ أن العشاء جاهز فأنا أتضوّر جوعاً .

قالت (إيمان) بنبرة ذات مغزى :

— ألم تدع صديقك، الذى ذهبت للقائه، لتناول طعام العشاء .

جلس ، وهو يقول فى هدوء :

— لقد اكتفيت بدعوته إلى الغداء .

عبس وجهها فى ضيق ، على حين قال له والده :

— كان ينبغى أن تخبرنى أنك لن تذهب إلى المصنع اليوم .

— عفواً يا أبى .. كان موعدى مع صديقى عاجلا هامًّا ، مما حال دون ذلك .

وأخذ يتناول طعامه فى هدوء ، دون أن يعبأ بـ (إيمان) ، التى تتميَّز غيظاً ، ولم يكد ينتهى من طعامه ، حتى استرخى فوق مقعد وثير ، وذهب والده ليستريح فى حجرته ، على حين ظلَّت (إيمان) تروح وتغدو داخل حجرتها ، تحاصرها الأفكار والظنون ، حتى لم تعد تحتمل ، أو تطيق صبراً ، فهبطت إلى حيث يجلس هو ، وقالت ، وهى تدق الأرض بقدميها فى غضب :

— كان ينبغى أن تسدِّد الكثير من حسابات المصنع ، قبل أن تذهب للقاء صديقتك .

ابتسم فى هدوء ، وهو يقول :

— لقد ذهبت إلى المصنع ، قبل عودتى إلى هنا ، وعلمت أنك قد قمت بالمهمة على خير وجه ، والحق يقال إنك شريكة يعتمد عليها يا زوجتى العزيزة .

أثارتها نبرة الاستخفاف فى صوته ، فقالت فى انفعال :

— هذا لا يعنى أن تلقى التزاماتك على كاهلى ، فلكل منا دوره فى القيام بأعباء العمل .

ظل محتفظاً بابتسامته المستخفة ، وهو يقول :

— لا بأس .. سأتولى بعض المسئوليات عنك غداً ، يمكنك أن تحصلى على إجازة غداً ، وتتركى لى أعباء المصنع كلة ، المهم ألا تفسدى سعادتى الليلة بشجار مفتعل .

هتفت فى حدَّة :

— أأنا ممن يفتعلون الشجار ؟

زفر (طارق) ، قائلا :

ـ كلاً .. بل أنت فتاة لطيفة ، فلا تمثلى دور الجافية .. إنك متعبة الآن .. أليس كذلك ؟ .. اصعدى إلى مخدعك ، وحاولى الحصول على قسط من النوم .

ازداد انفعالها ، وهى تهتف :

ـ إنك تحدثنى كما لو كنت طفلة .

فجأة نهض من مقعده ، وحملها كالطفلة ، وراح يصعد بها إلى أعلى ، فقاومته فى حدة ، حتى دفع باب حجرتهما بقدمه ، وأجلسها على طرف الفراش ، قائلا :

ـ فى البيت خدم لهم آذان .. قولى ما تشائين هنا فقط .

جلست تلهث ، دون أن تفوه بكلمة ، وقد أنعشها أن حملها فارس أحلامها بين ذراعيه ، وأحاط كتفيها بذراعيه القويتين ، فتنهّدت ، قائلة :

ـ ليس لدىَّ ما أقوله .

ـ إذن نامى .

أسندت مرفقها إلى ركبتها ، واستندت بذقنها إلى قبضتها المضمومة ، وهى تقول :

ـ لست أرغب فى ذلك .

راح يبدّل ثيابه فى هدوء ، وهو يقول :

ـ أما أنا فسأفعل ، فأنا مرهق للغاية .

ألقى نفسه على الفراش ، وحوّل وجهه عنها ، فسألته فى توتر :

ـ لا ريب أنك متعب من السير طويلا مع (كريمة) .

قال فى سخرية :

ـ لماذا ؟ .. أنسيت أننى أملك سيارة ؟!

تطلّعت إليه بطرف عينيها ، وهى تقول فى فضول :

ـ أجاءت لتتفق معك على شىء جديد ؟

تقلّب مستلقياً على ظهره ، واتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

ـ المرأة هى المرأة .. دائماً فضولية وغيورة .

قالت فى غضب :

ـ يؤسفنى أن أردت الاطمئنان عليك .. أنت

تعلم أن الفضول ليس من صفاتى ، ولقد طرحنا الغيرة من علاقتنا منذ البداية .. أنت فقط اعترفت بالغيرة أمس .

اعتدل جالساً ، وهو يقول :

ـ لأننى أكثر صراحة منك ، أما أنت فتخفين مشاعرك خوفاً أو غروراً .. لِمَ لا تكشفين مشاعرك ، بدلا من إجهاد نفسك لإخفائها ؟ .. من المحتمل أن يقرّب ذلك بيننا .

كادت تصارحه بمكنونات قلبها ، إلا أنها تمسكت بكبريائها ، وهى تقول :

ـ أية مشاعر ، تلك التى أخفيها ؟ .. لست أدرى ما الذى يصوّره لك خيالك؟ ولكننى أريد منك أن تعلمَ أننى لا أحمل لك أية عواطف من النوع الذى تتصوّره ، قد يقلقنى شأنك ، أو يفرحنى نجاحك ، ولكن هذا بسبب صلة القربى بيننا فحسب ، ولست مسئولة عما يذهب إليه خيالك خلاف ذلك .

تطلّع إليها بعينين محبطتين يائستين ، ثم لم يلبث أن قال فى حزن :

ـ حسناً .. اغفرى لى خيالاتى وأوهامى ، فالقلب قد يخدع صاحبه أحياناً .

وألقى رأسه على الفراش ، وحوّل وجهه عنها ، فهتفت أعماقها تؤنبها :

ـ ماذا تفعلين به وبنفسك ؟ .. إن كلماته تحمل لك الكثير ، فلِمَ توصدين باب قلبك فى وجهه هكذا ؟ هل استعذبت القيام بدورك إلى النهاية ؟ .. ولكن .. ولكنه كان معها .. أليس كذلك ؟ .. وليكن .. لِمَ لا تدخلين معها ساحة المنافسة على الأقل ؟ .. لقد بدأ يشعر بك ، والحيرة تنتاب مشاعره ، وتجذبه إليك تارة ، وإليها تارة، فلِمَ لا تنتهزين الفرصة، وتجذبينه إليك ؟ .. كلاً .. لن يتم الأمر على هذا النحو .

تناقضت مشاعرها ، وتصارعت كما لو كانت شخصيتين متناقضتين ، فتطلعت إليه وهو نائم ، وواصلت حديثها مع نفسها :

ـ الحياة أقصر من أن نقضيها فى العذاب والعتاب يا (طارق) .. ارحمنى ، وأدرك ببصيرتك مدى حبى لك .. احفظ ماء وجهى وكبريائى ، فلا خير فى حب يستجديه المحب ، وغرام يلتمسه المغرم التماساً .. إنك الآن قريب منى ، وقد تكون أقرب إليها ، فالعبرة ليست بالأجساد ، وإنما بالنفوس والأرواح .. وأنا أتعذَّب يا (طارق) .. أتعذَّب ؛ لأنك إلى جوارى ، وأخرى تشغل تفكيرك ، وتملأ قلبك .. أتعذَّب ..

ثم أجهشت ببكاء حارّ ..

* * *



١١ ـ وداعا للصدر الحنون ..

انتزعت صرخة مدوية (طارق) من حجرته بالمصنع ، وجعلته يندفع خارجاً ، صائحاً :

ـ ماذا هناك ؟

أجابه أحد العمال فى هلع :

ـ لقد شبَّ حريق فى مخزن المعدات ..

اندفع نحو المخزن ، واختلط بالعمال ، الذين يحملون أدوات الإطفاء ، وهتف بهم :

ـ هل استدعيتم رجال الإطفاء ؟

ـ نعم .. منذ لحظات .

رأى أحد العمال مصاباً بانهيار هستيرى ، فسأل :

ـ ماذا به ؟

ـ ابنه داخل المخزن ، وما من وسيلة لإخراجه .

اختطف (طارق) غطاءً صوفيًّا ، واندفع فى جسارة نحو المخزن ، والجميع ينشدونه التراجع ، ووجد

الصبي منكمشاً فى أحد الأركان ، فزعاً مذعوراً ، فهتف به :

— اطمئن .. سأخرج بك من هنا سالماً بإذن الله.

والتقط مقعداً معدنيًّا ، حطّم به لوحاً زجاجيًّا أعلى الجدار ، وهو يقول :

— اصعد على كتفى ، وتدلَّ من تلك الفتحة ، وستجد عاملا مستعدًّا لالتقاطك .

كانت النيران تزحف فى سرعة ، والموقف أشبه بالجحيم ، حينما وصلت (إيمان) ، وسألت أحد العمال فى ذعر وجزع :

— ماذا حدث ؟

— لقد شبَّ حريق فى مخزن المعدّات ، والأستاذ (طارق) بالداخل ، يحاول إنقاذ ابن الريس (أمين) .

ارتسم على وجهها تعبير مروّع ، وهى تصرخ :

— (طارق) ؟! .. كلاّ .

حاولت اقتحام المخزن خلف زوجها ، ولكن

المهندس (جمال) ، وبعض العمال اعترضوا طريقها ، فراحت تبكى ، وتصرخ فى هستيرية :

— دعونى .. دعونى .. إنه زوجى .

تلاشت صرختها ، حينما رأت الصبى قادماً ، يحمله أحد العمال ، وأبوه يندفع نحوه ، باكياً ، هاتفاً :

— حمداً لله .. حمداً لله .

هتف العامل ، الذى يحمل الصبى :

— اطمئنى يا سيدتى .. لقد نجا (طارق) بك ، وها هو ذا يأتى .

اتجه بصرها إلى حيث أشار الرجل ، فرأت (طارق) يقترب متهالكاً ، منهكاً ، فاندفعت نحوه فى سعادة غامرة ، وألقت نفسها بين ذراعيه ، وأجهشت ببكاء حار ، وهى تقول :

— حمداً لله .. حمداً لله على نجاتك يا حبيبى ... أأصابك مكروه ؟

— لا شىء .. بعض الحروق البسيطة .

ملأت عينيها بوجهه فى لهفة ، ثم عادت تلقى رأسها

على صدره ، وهى تحيط جسده بذراعيها ، هاتفة :

ـ حمداً لله .. حمداً لله .

ومن العجيب أنه نسى كل آلامه ، حينما وجدها بين ذراعيه ..

لقد أدهشه ذلك فى البداية ، خاصة مع عواطفها المتدفّقة ، التى لم يعهدها فيها من قبل ، ثم لم يلبث ذلك الإحساس ، الذى خامره وهو يراقصها فى (الإسكندرية) أن عاوده ، بأن كليهما ينتمى إلى الآخر فقط ، ورفع أصابعه يتحسّس شعرها فى حب وحنان ، واستغرقته عواطفه ، حتى أنه نسى كل من حوله ، وشعر أنه يمتلك ـ فى هذه اللحظة ـ كل العالم .. بل الكون ..

* * *

جثت (إيمان) على ركبتيها أمامه فى الڤيلا ، تداوى جراحه وحروقه ، وهو مستسلم لها ، حتى باغتها برفع وجهها إليه بأنامله ، قائلا :

ـ (إيمان) .. لِمَ حاولت اقتحام المخزن المشتعل خلفى ؟ .. لِمَ انخرطت فى بكاء هستيرى ، وأردت

المخاطرة من أجلى ؟ .. لماذا شعرت بفرحة طاغية لنجاتى ، جعلتك تلقين نفسك بين ذراعى ؟ .. أريد إجابات صريحة .. أرجوك .. لست أحب أن أسمع تلك التُّرَّهات عن صلة القربى ، ونشأتنا معاً .. أريد إجابات تشفى غليلى .

تأملته برهة ، قبل أن تقول :

ـ لقد خاطرت بنفسك لإنقاذ صبى .. أتصورتنى أقف ساكنة ، وزوجى يواجه الموت ؟

ـ أهذه كل إجابتك ؟

ـ أتريد إجابة أخرى ؟

ـ بل أريد إجابة صادقة .

ـ أتتهمنى بالكذب ؟

ـ نعم .. ومنذ البداية ، فلا يمكن أن أكون قد أخطأت تفسير مشاعرى ، وأنت ترتجفين بين ذراعىَّ .

ـ كنت فى حالة ارتياع .

ـ ولكننى أحسست الشىء نفسه ، حينما كنت أراقصك فى (الإسكندرية) .. هل تذكرين ؟

أرادت أن تتملّص من محاصرته لها ، فنهضت قائلة :

– لقد انتهيت من تضميد جراحك ، يمكنك أن ترتدى قميصك .

أمسك معصمها ، قائلا :

– ما زلت أنتظر جوابك ، ولن تغادرى الحجرة قبل أن أسمعه .

جذبتْ معصمها من يده فى رفق ، وهى تقول :

– بالمناسبة ، حروقك سطحية ، ولن تمنعك من لقاء (كريمة) لو أردت .

هبَّ من مقعده ، وأمسك كتفيها ، قائلا فى انفعال :

– دعك منها الآن ، وأجيبينى فى صراحة .. هل تحبيننى ؟

ارتجفت ، وهى تحاول الإفلات منها ، إلا أنه منعها فى قوة ، وعيناه تحملان التوسُّل والرجاء ، فأجهشت بالبكاء ، وهى تهتف :

– (طارق) .. دعنى .. أرجوك .

وفجأة اختلطت بهتافها صرخة ملتاعة ، دوَّت فى أرجاء المنزل ، ودفعتهما للإسراع نحو مصدرها ، لتستقبلهما الخادمة ، وهى تهتف فى ألم وبكاء :

– فليرحمك الله يا (منصور) بك .. فليرحمك الله.

اتسعت عينا (طارق) فى ذهول، وتهالكت قدماه، وهو يتشبث بإفريز السلم ، غير مصدِّق ، على حين استندت (إيمان) إلى الحائط فى هلَع ..

لقد مات عمها ..

مات الأمن والأمان ..

ماتت الحقيقة ..

* * *



١٢ ـ الاعتراف ..

جثمت الأحزان على المنزل لأكثر من شهر كامل تحوّل خلاله (طارق) إلى شخص آخر ، فأهمل مظهره ونمت لحيته ، وصار حزيناً صامتاً ، نادماً على علاقته السيئة بوالده طيلة عمره ، ومنذ التصاقه بأمه فى طفولته، وبعد أن رحل أبوه ، شعر لأول مرة بيتم حقيقى ، لم يعرفه بعد وفاة أمه .. لقد أدرك الآن فقط أنه كان يحب والده حبًّا جمًّا ، وأن حب والده الصامت له كان أقوى من كل مظاهر الحب العلانية ، فلقد كان يسعى لتحقيق مصلحته دوماً ، وإن غلّف ذلك بإطار قاس ، وهو يرى بعين الأب ، ما لا يراه هو بطيشه ونزقه .. حتى فى زواجه بـ (إيمان) ، كان الأب يدرك بحكمته أنه أفضل له ، وأنه سيصنع منه رجلا آخر ..

وانحدرت العبرات على وجنتيه ، وهو يردّد فى صوت أقرب إلى الخشوع :

ـ رحمك الله يا أبى .. كم أتمنى أن تغفر لى كل أخطائى فى حقك .

أما (إيمان) فقد كانت أكثر حزناً وانهياراً ، فلم يكن الرجل ـ بالنسبة لها ـ مجرد عم ، وإنما كان أباً حقيقيًّا حنوناً ، منحها كل حبه ورعايته، حتى أحست بعد موته بانهيار صرح أمنها وأمانها ، وبضياع شجاعتها وقوتها وحبها ، وعلى الرغم من ذلك كانت تسعى للتخفيف عن زوجها ، وانتزاعه من حزنه العميق ، متظاهرة بالقوة ، ومستعينة بالإيمان ، الذى تحمل اسمه، وإن ظلت أحزانها أقوى من كل شىء ..

ولقد تغلّب (طارق) على أحزانه ، بعد خمسة وثلاثين يوماً من وفاة والده ، فعاد إلى العمل، وتقبّل تعازى العاملين فى هدوء ، قائلا :

ـ أشكر لكم مشاعركم الطيبة ، لقد كان أبى ـ رحمه الله ـ يعتز بكم دوماً، ويقول إن نجاح المصنع يعود إلى سواعدكم وإخلاصكم ، الذى حولنا فى النهاية إلى أسرة واحدة ، عليها ـ مهما جابهت من متاعب وأحزان ـ أن تدرك أن الحياة لن تتوقف أبداً ، وأن أفضل تكريم لذكرى أبى ، هو أن نمنح روحه المزيد

من نجاح المصنع ، ونتكاتف جميعاً لمزيد من التقدُّم ، ولتعلموا أننى مستعد لتلبية طلباتكم دوماً ، مثلما كان يفعل هو (رحمه الله) .

استقبل العمال كلماته بالتقدير والإعجاب والاحترام ، وشاركتهم (إيمان) مشاعرهم ، وهى تقترب منه قائلة :

– كم أشعر بالفخر بك .. لقد تغيرت كثيراً يا (طارق) .

ابتسم فى حزن ، وهو يتطلَّع إليها ، قائلا :

– لا تنسى أن لك دوراً فى ذلك .. الحقى بى فى مكتبى ، فلدىَّ ما أقوله لك .

انصرف إلى مكتبه ، وتابعته هى ببصرها ، ثم أمرت الجميع بالعودة إلى مواقعهم ، ولحقت به ، فرأته منهمكاً فى توقيع بعض الأوراق ، ولم يكد يراها حتى دعاها إلى الجلوس ، وقال :

– (إيمان) .. إننى مضطر للسفر بعد قليل إلى

(الإسكندرية) ، فهناك أمور أحب أن أرتبها مع (كريمة) .

طعنت كلماته قلبها فى عنف ، وأيقظت فى صدرها تلك الحقيقة ، التى أصبح من المحتم مواجهتها ، بعد رحيل عمها ، واستمعت إليه فى مرارة ، وهو يستطرد :

– اصرفى بعض الحوافز للعاملين ، وإذا ما اضطررت للتأخير ، سأعتمد عليك فى إدارة العمل هنا .

أجابته فى ألم :

– أعتقد أن دورى بالنسبة للمصنع قد انتهى ، فهو مصنعك وحدك ، وكل الأوراق المتعلقة بالبيع أوراق صورية ، سأسلمها لك لتمزِّقها ، أو تحتفظ بها .

قال فى برود :

– ولكن هذا يتعارض مع أساس زواجنا .

– إنه أساس باطل ، فلقد كان هدف عمى الوحيد من ذلك ، هو أن تتولى مسئولياتك فى المصنع ، وتتحرر من الشخصية الضعيفة الطائشة ، التى كنتها ،

وكان يعتقد (رحمه الله) أن زواجنا سيُسهم فى ذلك ، وأظن أن هدفه قد تحقق ، ولم يعد هناك داع لاستمرار التمسك بالاتفاق .

– ولكننى أذكر أنه أراد أن يؤمِّن لك حياة موسرة بعد موته ، كما أنك فى النهاية ابنة عمى ، ولن أسمح لنفسى بالجوْر على حقوقك .

– وابنة عمك تتنازل لك عن كل شىء .

– أأنت واثقة من أنها رغبتك ؟

– نعم .. وأرغب فى نيْل الطلاق بسرعة .

– كما تحبِّين ، ولكن ألا يمكننا تأجيل ذلك بعض الوقت ؟

– لمـــاذا ؟

– سأجرى بعض الترتيبات مع (كريمة) أولا ، ثم نتفق على كل شىء معاً ، عند عودتى .

– بشرط أن أغادر الفيلا الليلة .

– إلى أين ؟

– إلى منزل أبى فى (المطرية) .. مازلت أملك مفتاحه .

نهض من خلف مكتبه ، وتقدَّم نحوها ، وحدَّق فى عينيها ، قائلا :

– (إيمان) .. ألست ناقمة علىَّ ؟

تطلَّعت إلى وجهه ، وكأنها تريد أن تملأ عينيها بملامحه ، قبل أن تحين لحظة الفراق ، وقالت :

– كل ما أرجوه لك هو حياة سعيدة هانئة دوماً .

غادر حجرته ، وتركها وحـــدها ، فاغرورقت عيناها بالدموع ، ولم تلبث أن انخرطت فى بكاء حار ، مودِّعة حلمها ، وتَئِدُ آمالها ، بعد أن ضاعت منها أسطورة الحب الوهمىّ ، الذى تصوَّرت أنها ستحصل عليه يوماً ، من حبيبها الوحيد فى هذا العالم ، ولم يعد أمامها سوى أحزان طويلة ممتدة ، وشقاء بلا نهاية ..

٭ ٭ ٭

عادت إلى المنزل ، لتجمع حاجاتها ، استعداداً لمغادرته ، وراحت تتأمَّل ما حولها ، وكل ركن يعيد

إليها ذكرى لقاء مع (طارق) ، وكل قطعة أثاث تعيد ذكرى لحظة لهما معاً ، وتركت عبراتها تنسال على وجنتيها فى استسلام ، واتجهت نحو مكتبها الصغير ، القابع فى أحد أركان الحجرة ، بحثاً عن مجموعة من المذكرات والأوراق ، التى سجلت فيها خواطرها منذ الطفولة ، وبثتها كل مشاعرها وعواطفها تجاه (طارق) ، والتى ستبقى ذكرى حبها الضائع ، وقلبها المهزوم ..

ولدهشتها وذعرها ، لم تجد الأوراق والمذكرات فى مكانها ، فأصابها الاضطراب والحيرة ، وصاحت تنادى الخادمة (أمينة) ، التى هرعت إليها على الفور ، فسألتها فى توتر :

– ألم تعثرى على بعض الأوراق هنا ؟

– كلاً يا سيدتى .

– أين ذهبت أوراق إذن ؟

هتفت الخادمة ، وهى تنفى التهمة عن نفسها فى ذعر :

– لست أعلم شيئاً عنها يا سيدتى .. أقسم لك ، فهذا الدرج مغلق دوماً ، وقلما أقترب منه .

غمغمت (إيمان) ، وكأنها تحاول تهدئة انفعالها :

– حسناً .. اذهبى أنت .. لعل هذا أفضل ، فلا جدوى من اجترار ذكريات مريرة .

– ماذا تقولين يا سيدتى ؟

– ليس هذا من شأنك .. اذهبى .

غادرت الخادمة الحجرة ، ولم تكد تغلق الباب خلفها حتى ابتسمت فى وجه (طارق) ، الذى أشار إليها بالصمت ، ثم دلف إلى الحجرة فى صمت ، واتجه على أطراف أصابعه نحو (إيمان) ، ووقف خلفها ، ومدَّ لها يده بأوراقها ومذكراتها ، قائلا :

– أتبحثين عن هذه الأوراق ؟

التفتت إليه فى دهشة وذعر ، ورأته يبتسم فى هدوء ، فتراجعت بمقعدها فى حِدَّة ، وألجمتها المفاجأة وهتفت فى دهشة :

– ألم تسافر إلى (الإسكندرية) ؟

– كلاً .. لِمَ أخفيت عنى حقيقة مشاعرك ، كل هذا الوقت ؟

– أية مشاعر؟

– تلك التى سجّلتِها فى أوراقك ومذكراتك ، والتى تكشف عن مدى حبك لى منذ الطفولة .. كيف أمكنك أن تحملى كل هذا الحب بين جنباتك ، طوال كل هذه السنين ، دون أن تبوحى بكلمة واحدة منه ؟

انتزعت أوراقها من يده فى لهفة ، وكأنها تنتزع دليل إدانتها ، وهى تهتف :

– كيف تسمح لنفسك بفتح درجى الخاص ؟

– لم أفتحه .. أنت نسيته أمس مفتوحاً ، وكنت أبحث عن قلم ، حينما وقعت عينى على هذه الأوراق بالمصادفة ، وعرفت منها كل الحقيقة ، التى كنت أشعر بها . وأتمنى التأكد منها .

– لن تغيّر تلك الحقيقة من الأمر شيئاً ، فأنت فى سبيل الزواج من الفتاة التى أحببتها .

– تقصدين التى كنت أتصوّر أننى أحبها ، حتى

عرفت حقيقة مشاعرى بقربك .. كنت سأرتكب أكبر خطإ فى حياتى ، لو تزوّجت (كريمة) ، أو أية مخلوقة أخرى سواك ؛ لأنك الإنسانة الوحيدة ، التى أحببتها حبًّا حقيقيًّا .

ارتجفت وهى تستمع إليه ، وخفق قلبها بين ضلوعها فى عنف ، وهى تغمغم :

– (طارق) .. أرجوك .. لا شىء يجبرك على قول هذا .. لا تجعل ما قرأته فى أوراقى يدفعك إلى قول ما لا تريد .

تطلّع إليها فى حنان ، وهو يقول :

– أيتها الحمقاء .. لِمَ لا تفهمين ؟ .. لقد أحببتك .. أحببتك بكل صدق وقوة ، أحببتك قبل أن أقرأ مذكراتك وأوراقك .. فقط كان ينقصنى التأكد من أنك تشاركيننى عواطفى ، وتبادليننى ذلك الحب ، الذى كنت تُخفينه دوماً خلف قناع من الجمود والكبرياء .

– وماذا عن (كريمة) ؟

– لقد خرجت من حياتى ، منذ تلك الليلة التى التقيت بها فيها ، يوم اتصلت بى هنا هاتفيًا .. لقد التقيت بها ؛ لأخبرها بأن كل شىء بيننا قد انتهى .. لقد كان الأمر قاسياً لى ولها ، بعد السنوات الطويلة التى جمعتنا ، وبعد انتظارها لى طوال سنوات سفرى إلى (أوروبا) ، ولكننى أخبرتها أن عواطفنا لم تكن ناضجة وقت اتفقنا على خطبتنا ، وقلت لها إن قلبى لم يعد ملكاً لها ، بعد أن صار ملكاً لزوجتى .

وتطلّع إليها فى عتاب ، مستطرداً :

– زوجتى الحمقاء ، التى حرمتنى هذا الحب طوال زواجنا .

بكت (إيمان) من فرط سعادتها ، وهى تشاهد حلم عمرها يتحوّل أخيراً إلى حقيقة ، وقالت فى فرح :

– أردت أن أرى الحب فى عينيك، قبل أن أبوح لك بسرّى ، لقد رضيت أن أكون زوجة مفروضة ، أملا فى أن أصبح حبيبة مرغوبة .

– إذن فأنت تعترفين بالتهم المنسوبة إليك ؟

دفنت رأسها فى صدره ، وهى تقول :

– نعم يا حبيبى .. أعترف لك بأن حبك يسرى فى كل قطرة من دمى ، وأنا على أتم استعداد لتوقيع هذا الاعتراف عشرات المرات .

– أتقبلين العقوبة ، التى أوقعها عليك ، جزاء اعترافك ؟

ابتسمت ، وهى تمسح دموعها ، قائلة :

– نعم .. أتقبلها راضية .

حملها بين ذراعيه ، قائلا :

– حسناً .. هيَّا بنا .

ضحكت ، وهى تسأله فى سعادة :

– إلى أين ؟

– إلى (الإسكندرية) .

– (الإسكندرية) مرة أخرى ؟!

– نعم .. سنقضى شهر عسل حقيقى هذه المرة ، ولقد اتفقت مع المهندس (جمال) على إدارة المصنع فى

غيابنا .. سننسى هـــذه المرة كل الحزن والعـــذاب والحرمان ، ونستمتع معاً بكل شىء ، وعند عودتنا ستكونين شريكتى فى المصنع ، وفى قلبى .

طوّقت عنقه بذراعيها ، وذابت معه فى سعادة لم يعرفها أحدهما من قبل .. سعادة حقيقية ..

* * *

(تمت بحمد الله)



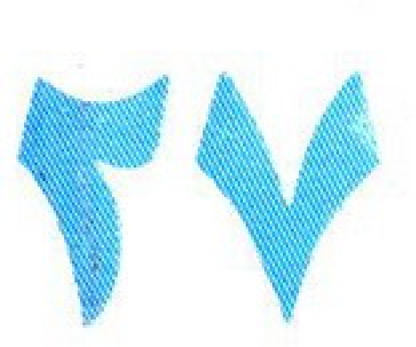
سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

المؤلف



أ. شريف شوقى

السلسلة الوحيدة التى لايجد الأب أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل



حبى المعذب

كانت تحبه منذ طفولتها ، وشاء لهما القدر أن يتم زواجهما كجزء من صفقة ، على حين كان قلبه معلقًا بحب أخرى .. ترى هل يشعر يومًا بحبها له ؟ أم يتركها وحيدة ، بحب بائس معذب؟..

الثمن فى مصر ٠
ومايعادل دولارًا أمريكيًا فى سائ... ...ربية والعالم